ميثـــاق النّبـــيّين

بمحمّـــد ﷺ

في

التوراة والإنجيل والقرآن

تأليف الدكتور الشيخ

أحمد حجازى السقا

أستاذ في علم مقارنة الأديان

مـن كلـية أصـول الدين

الناشر

مكتبة الإيمان

بالمنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

مكتبة الإيمان بالمنصورة
١٤٢٣ ـ ٢٠٠٢م

التقديم للكتاب

بقلم الأستاذ الدكتور

خليل أحمد إبراهيم الحاج

إن الحمد لله، نحمده ونستغفره، ونسأله من فضله أن يديم علينا نعمه الظاهرة والباطنة، ونصلي ونسلم على رسول الله محمد خير خلقه وخاتم أنبيائه.

وبعد

فإن أدلة إثبات النبوة لمحمد ﷺ من أسفار أهل الكتاب واضحة كل الوضوح لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وكل من يداوم على المطالعة فيها لإظهار هذه الأدلة؛ يظهر الله له منها ما يثبت به فؤاده، ولكن الشيطان له سلطان على غير المؤمنين وهو يصدهم عن الإيمان به ﷺ فليحذر العالم من الشيطان وليقبل على دين الإسلام ليسعد بحياة طيبة وليفوز برضا الله عنه.

وإن الشيطان قد صرف اليهود عن الحق، وحببهم في الباطل حتى إنهم أهانوا اسم الله عز وجل وسطروا في التلمود عنه كلاماً سيئاً للغاية ويقرءون التلمود ويهملون التوراة التي فيها أدلة كثيرة على إثبات نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام.

يقول العالم العلامة والحَبْر البحر الفهامة الإمام ابن حزم الأندلسي في كتابه القيم الفِصَل:

«وفي كتاب آخر من التلمود يقال له سادر ناشيم ومعناه تفسير أحكام الحيض: أن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفي إصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب. وأن المَلَك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفون - تعالى الله عن هذه الحماقات - ومما أجمع عليه أحبارهم - لعنهم الله -: أن من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء؛ يؤدب، ومَن شتم الأحبار؛ يموت. أي يقتل. فاعجبوا لهذا؛ واعلموا أنهم ملحدون لا دين لهم، يفضلون أنفسهم على الأنبياء - عليهم السلام - وعلى الله -عز وجل-. وعلى الأحبار - فعليهم ما يخرج من أسافلهم -.

وفيما سمعنا من علمائهم وهم يذكرونه ولا يتناكرونه: أن أحبارهم الذين أخذوا عنهم دينهم والتوراة وكتب الأنبياء - عليهم السلام - اتفقوا على أن رشوا «بولس»

البنيـاميني ـ لـعنه اللّه ـ وأمروه بإظهـار دين عـيسى عليـه السـلام، وأن يضل أتباعـه ويدخلهم في القول بإلاهيته. وقالوا له: نحن نتحمل إثمك في هذا. ففعل وبلغ من ذلك حيث قد ظهر.

واعلموا يقينا: أن هذا عـمل لا يستسهله ذو دين أصلا. ولا يخلو أتبـاع المسيح عليه السلام عند أولـئك الأحبار ـ لعنهم الـلّه ـ من أن يكونوا على حق أو على باطل. لابد من أحـدهمـا؛ فإن كـانوا عندهم على حق، فكـيف استـحلوا ضـلال قـوم محـقين، وإخراجهم عن الهدى والدين، إلى الضلال المبين؟ هذا واللّه لا يفعله مؤمن باللّه تعالى أصلا. وإن كـانوا عندهم على ضلال وكفر؛ فـحسبهـم ذلك منهم. وإنما يسعى المؤمن ليهـدي الكافر أو الضـال، أما أن يقـوي بصيـرته في الكفر، ويفـتح له فيـه أبوابا أشد وأفحش مما هو علـيه؛ فهـذا لا يفعله أيضا من يـؤمن باللّه تعالى قطعـا، ولا يفعله إلا ملحد يريد أن يسخر بمن سواه، فعن هؤلاء أخذوا دينهم وكتب أنبيائهم. بإقرارهم.

فاعجبوا لهذا.

وهذا أمر لا نبـعده عنهم؛ لأنهم قد راموا ذلك فـينا، وفي ديننا. فبَعُـد عليهم بلوغ إربهم من ذلك. وذلك بإسلام عبد اللّه بن سبأ المعروف بابن السوداء اليهودي الحميري ـ لعنه اللّه ـ ليضـل من أمكنه من المسلمين. فنهج لطائفة رذلة كـانوا يتشيـعون في علي ـ رضي اللّه عنه ـ أن يقولوا بالإلهية علي. كمـا نهج بولس لأتباع المسيح ـ عليه السلام ـ أن يقولوا بالإلهية. وهم الباطنية والغالية إلى اليوم ـ على جميعهم لعائن اللّه تترى ـ .

وأشنع من هذا كله: نقلهم الذي لا تمانع بينهم فيـه عن كثير من أحبـارهم المتقدمين الذين عنهم أخذوا دينهم، ونقلوا توراتهم وكتب أنبيائهم: بأن رجلا اسمه إسماعيل كان إثر خراب البيت المقدس؛ سمع اللّه ـ تعالى ـ يئن كما تئن الحمامة، ويبكي وهو يقول: الويل لمن أخرب بيتـه، وضعضع ركنه، وهدم قصره، ومـوضع سكينته، ويلي على ما أخربتُ من بيتي، ويلي على مـا فرقت من بني وبناتي، قامتي منكسـة حتى أبنى بيتي وأردّ إليه بني وبناتي.

قـال هذا النذل الموسخ ابن الأنذال إسـمـاعيل: فـأخـذ اللّه تعـالى بثـيابي، وقـال لي: أسمعتنـي يا ابني يا إسماعيل؟ قلت: لا يا رب. فقال لي: يا ابني يا إسـماعيل: بارك

عليّ. قال هذا الكلب والجيفة المنتنة: فباركت عليه، ومضيت.

«قال أبو محمد رضي اللّه عنه»: .

. . لقد هان من بالت عليه الثعالبُ.

واللّه ما في الموجودات أرذل ولا أنتن ممن احتاج إلى بركة هذا الكلب الوضر. فاعجبوا لعظيم ما انتظمت هذه القصة عليه من وجوه الكفر الشنيع. فمنها: إخباره عن اللّه تعالى أن يدعو على نفسه بالويل مرة بعد مرة. الويل حقا على من يصدق بهذه القصة وعلى الملعون الذي أتى بها. ومنها: وصفه اللّه تعالى بالندامة على ما فعل. وما الذي دعاه إلى الندامة؟ أتراه كان عاجزا؟ هذا عجب آخر. وإذا كان نادما على ذلك، فلم تمادى على تبديدهم، وإلقاء النجس عليهم، حتى يبلغ ذلك إلى إلقاء الحكّة في أدبارهم، كما نص عليه في آخر توراتهم (١)؟ ما في العالم صفة أحمق من صفة من يتمادى على من يندم عليه هذه الندامة.

ومنها: وصفه اللّه تعالى بالبكاء والأنين. ومنها: وصفه لربه تعالى بأنه لم يدر هل سمعه أو لا حتى سأله عن ذلك. ثم أظرف شيء: إخباره عن نفسه بأنه أجاب بالكذب، وأن اللّه تعالى قنع بكذبه، وجاز عنده، ولم يدر أنه كاذب. ومنها: كونه بين الخِرَب. وهي مأوى المجانين من الناس وخساس الحيوان كالثعالب والقطط البرية ونحوهما. ومنها: وصفه اللّه تعالى بتنكيس القامة. ومنها: طلبه البركة من ذلك المنتن ابن المنتنة والمنتن. وباللّه الذي لا إله إلا هو ما بلغ قط ملحد ولا مستخف هذه المبالغ الذي بلغها هذا اللعين ومن يعظّمه.

وباللّه تعالى نتأيد. ولولا ما وصفه اللّه تعالى من كفرهم وقولهم: ﴿ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ و ﴿ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ ما انطلق لنا لسان بشيء مما أوردنا. ولكن سهّل علينا حكاية كفرهم: ما ذكره اللّه تعالى لنا من ذلك.

ولا أعجب من إخبار هذا الكلب ـ لعنه اللّه ـ عن نفسه بهذا الخبر؛ فإن اليهود كلهم ـ أعني الربانيين منهم ـ مجمعون على نسبة الغضب إلى اللّه وعلى تعييبه وتهوين

---

(١) التثنية ٢٨: ٢٧ .

أمره ـ عز وجل ـ فـإنهم يقولون ليلة عيد الكبور وهي العـاشرة من تشرين الأول وهي أكتـوبر: «يقوم الميططرون» ومعنى هذه اللفـظة عندهم: الرب الصغيـر ـ تعالى اللَّه عن كفرهم ـ قال: ويقول وهو قائم ينتف شـعره ويبكي قليلا قليلا: «ويلي إذ خربت بيتي، وأيتمت بـني وبناتي، قامـتي منكسة لا أرفعـها حـتى أبني بيتي وأرد إليـه بني وبناتي» ويرددون هذا الكلام.

واعلموا: أنهم أفردوا عـشرة أيام من أول أكتوبر يعـبدون فيه ربا آخر غـير اللَّه ـ عز وجل ـ فحـصلوا على الشرك المجرد. واعلمـوا: أن الرب الصغيـر الذي أفردوا له الأيام المذكورة يعـبدونه فـيها من دون اللَّه ـ عـز وجل ـ هو عندهم «صندلفـون» الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم. وهذا أعظم من شرك النصارى.

ولقد وقّفتُ بعضهم على هذا. فـقال لي: ميططرون ملك من الملائكة. فقلت: وكيف يقول ذلك الملك: «ويلي على ما خربت من بـيتي، وفرقت بني وبناتي»؟ وهل فعل هذا إلا اللَّه ـ عز وجل ـ؟

فإن قالوا: تولى ذلك الملك الفعل بأمر اللَّه تعالى. قلنا: فمن المحال الممتنع ندامة الملك على ما فعله بأمر اللَّه تعالى، هذا كـفر من الملك لو فعله، فكيف أن يُحمد ذلك منه؟ وكل هذا إنما هو تحـيل منهم عند صك وجوههـم بذلك. وإلا فهم فـيه قـسمان: قـسم يقول: إنه اللَّه تعالى نفسه، فيصغرونه ويحقرونه ويعيبونه. وقسم يقول: إنه رب آخر دون اللَّه تعالى.

واعلموا: أن اليهود يقومون في كـنائسهم أربعين ليلة متصلة من أيلول وتشرين الأول وهما سبتمبر وأكتوبر؛ فـيصيحون ويولولون بمصائب. منها قولهم: «لأي شيء تسلمنا يا اللَّه هكذا، ولنا الدين الـقيم والأثر الأول؟ لم يا اللَّـه تتصـمّم عنا وأنت تسـمع وتعي وأنت مبـصر؟ هذا جزاء من تقـدم إلى عبوديتك، وبدر إلـى الإقرار بك؟ لم يا اللَّه لا تُعاقب من يكفـر النعم ولا تجازي بالإحسان، ثم تبـخسنا حظنا، وتسلمنا لكل مـعتد، وتقول: إن أحكامك عادلة»؟

فاعـجبـوا لوغادة هؤلاء الأوبـاش، ولرذالة هؤلاء الأنذال الممتنين على ربهـم ـ عز وجل ـ المستخفين به وبملائكته وبرسله»

انتهى كلام الحَبر ابن حزم - رضي اللّه عنه - بنصه.

وقد فهمنا منه إهانتهم للخالق جل جلاله، والذي يهين الخالق وليّ نعمه؛ يهين أشرف مخلوقاته، وهو النبي المبعوث رحمة للعالمين، رحمة للإنس والجن إذا آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه.

ولما ظهر هذا النبي العظيم واتبعه أولو الألباب؛ ازداد اليهود له حسدا. وأعدوا الجيوش لمحو دين الله. فما نالهم إلا الخزي في الحياة الدنيا، ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب. وما يزالون على عداوتهم للمسلمين. فإنهم قد جاءوا إلى فلسطين في هذا العصر، وروّعوا أهلها بالقتل والخراب وساموهم سوء العذاب. ونفذوا فيهم ما كتبه لهم أحبارهم في التوراة وهو أنهم يقتلون الرضع والأطفال والنساء والشيوخ والبهائم التي لا تعقل ولا يتركون نسمة مّا على قيد الحياة.

اقرأ هذا الكلام من سفر صموئيل الأول: «وقال صموئيل لشاول: إياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود: إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف له في الطريق عند صعوده من مصر، والآن اذهب واضرب عماليق وحرّم كل ماله، ولا تعف عنهم، بل اقتل كل رجل وامرأة وكل طفل ورضيع. والبقر والغنم والجمال والحمير» (١)

ولكننا نؤمن بقضاء اللّه وقدره ونستسلم لإرادته، وهو قد قال في كتابه الكريم: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾

وهذا الكتاب كتاب جيد في معناه، وهو مفيد جدا في إقناع أهل الكتاب بصحة دين الإسلام، وأيضا: في زيادة إيمان المؤمنين، وقد بذل المؤلف فيه جهدا مشكورا، وأدعو اللّه لي وله وللمسلمين بالتوفيق.

خليل أحمد إبراهيم الحاج

فرع جامعة الفاشر بالسودان

في القاهرة

(١) صموئيل الأول ١٥: ١ - ٣



موضوع الكتاب

هذا الكتاب يشرح قـول اللّه تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾

وفيه معنى قول اللّه تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وفيه نص هذا الإقرار بدون شرح.

وفيه: أن مـوسى قال للّه تعالى: «أرني مجـدك» يعني مجد النبي الذي سيـخلفه في قيادة الأمم إلى اللّه. فمثّل له اللّه محمدا ﷺ وقد لغا اليهود في هذا المعنى بقولهم: إنه مثل له الرِّبى يهوذا هناسي، واضع نواة التلمود، بعد الرجوع من سبى بابل.

وفيه معنى قول المسيح للّه تعالى: «أيها الآب مجد اسمك» أي النبي الآتي على مثال موسى باسم اللّه.

وقد كـتبنا قبله كـتابا سميـناه «صفحات سـود في تاريخ اليهود» يعـتبر ممهـدا لهذا الكتاب، وكتبنا بعده كتاب «الشجرة الملعونة في القرآن، وهي شجرة نسل اليهود»

واللّه نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين.

ميت طريف
- دقهلـــية

د/ أحمد حجازي السقا

درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين
جامعـــة الأزهر في موضوع «البشارة
بنبي الإسلام في التوراة والإنجيـــل»

بيان:

هذا الكتاب لا يشرح الميثاق الوارد في سورة آل عمران ٨١، وهذا هو نص الميثاق الذي تشير إليه سورة آل عمران ٨١ .

في الأصحاح الثالث عشر من سفر التثنية:

«إذا قام في وسطك نبيٌ أو حالمٌ حلماً وأعطاك آيةً أو أعجوبةً، ولو حدثت الآية أو الأعجوبة التي كلمَّك عنها قائلاً: لنذهب وراءَ آلهة أخرى. لم تعرفها ونعبدها فلا تسمع لكلام ذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم؛ لأن الربَّ إلهكم يمتحنكم لكي يعلم هل تحبون الرب إلهكم من كل قلوبكم ومن كل أنفسكم؟ وراءَ الرب إلهكم تسيرون وإياه تتَّقون، ووصاياهُ تحفظون، وصوتهُ تسمعون، وإياهُ تعبدون، وبه تلتصقون. وذلك النبي أو الحالم ذلك الحلم يُقتَلْ؛ لأنهُ تكلَّم بالزيغ من وراء الربِّ إلهكم الذي أخرجكم من أرض مصر، وفداكم من بيت العبودية لكي يطوِّحكم عن الطريق التي أمركم الربُّ إلهكم أن تسلكوا فيها فتنزعون الشَّر من بينكم.

وإذا أغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضْنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً: نذهب ونعبد آلهةً أخرى. لم تعرفها أنت ولا آباؤُك من آلهة الشعوب الذين حولك القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض إلى أقصائها؛ فلا ترضَ منهُ؛ ولا تسمع لهُ ولا تشفق عينك عليه ولا ترقَّ لهُ، ولا تسترهُ بل قتلاً تقتلهُ.

يدك تكون عليه أولاً لتقتله ثم أيدي جميع الشعب أخيراً. ترجمه بالحجارة حتى يموت لأنه التمس أن يطوِّحك عن الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. فيسمع جميع إسرائيل ويخافون ولا يعودون يعملون مثل هذا الأمر الشرير في وسطك.

إن سمعتَ عن إحدى مدنك التي يعطيك الربُّ إلهك لتسكن فيها قولاً: قد خرج أناسٌ بنو لئيم من وسطك، وطوَّحوا سكان مدينتهم، قائلين: نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها، وفحصت وفتشت وسألت جيداً وإذا الأمر صحيحٌ وأكيد قد عُمِل ذلك الرجس في وسطك، فضرباً تضرب سكَّان تلك المدينة بحدِّ السيف، وتحرِّمها بكل ما فيها، مع بهائمها بحدِّ السيف؛ تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها، وتُحرِق بالنار المدينة، وكل أمتعتها كاملةً للربِّ إلهك فتكون تلاً إلى الأبد لا تُبَنى بعدهُ. ولا يلتصق

بيـدك شيءٌ من المحرَّم. لكي يرجع الرب مـن حمـوِّ غضـبه ويعطيك رحـمةً يرحـمك ويكثرك كما حلف لآبائك.

إذا سمـعت لصوت الربُ إلهك لتحـفظ جميع وصـاياهُ التي أنا أوصيك بهـا اليوم لتعمل الحقَّ في عيني الرب إلهك» {تثنية: ١٣}.

تمهيد:

صوَّر اللَّه عظمة محمد ﷺ بأسلوب كنائي بديع، فقـال: إنني لما قدرت أن أخلق السموات والأرض؛ تصورتُ كل ما أخلقه، وما سيكون في العالم إلى يوم القيامة، ثم أظهرت تصوراتي في الكتب كأنها قد حدثت بالفعل، ومَثَّل ذلك ـ ولِلَّه المثل الأعلى ـ مَثَل مَنْ يريد أن يبني له بيتا؛ فإنـه يصور في ذهنه موقع الأرض، ومواد البناء، ومواقع الأبواب والشـبابيك، ثم يكتب ذلك في ورقـة، من قبل أن يبني هذا البـيت. ولكونه يملك الأموال، إذا قال: أنا بنيتُ. بمعنى: تصورت أو بمعنى: نَفَّذت ما قد تصورته؛ فإن أحدا لا يكذبه.

ولما أراد اللَّه خلق العالم تصـوَّره على ما سيكون، ثم إنه يخـرجه إلى حيز التنفـيذ على وفق ترتيبه فـي الأزل، ومعلوم أن اللَّه يكلِّم الناس عن نفسه على قـدر عقولهم، أما هو فليس كمثله شيء.

وفي الكتب: إنه لما خلق آدم وأسكنه الجنة، ثم طرده منهـا بسبب الخطيئـة إلى حيث الشقاء في الأرض؛ أراه كتابة فـوق باب الجنة هي: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فتمنَّى من اللَّه أن يعجل بإرساله ليخلِّص من هذا الشقاء.

فمحـمد ﷺ موجود في البدء؛ لأنه داخل في تصـور اللَّه لما سيكون عليه العالم، وتحدث عنه كأنه موجـود بالفعل؛ دلالة على أنه سوف يبعثه رحـمة للعالمين، وفي هذا المعنى يقول صاحب الإنجـيل: «في البدء كان الكلمة». أي: كان الوعـد بمجيء «المَسيًّا» الذي هو محمد رسول اللَّه ﷺ . وقد عبر عنه بالكلمة؛ لأن: الوعد به لا يُعرف إلا بالكلام عنه.

وهذا نص يبين ذلك من الأصحاح التاسع والثلاثين وما بعده من إنجيل برنابا:

«أجَابَ يَسُـوعُ: لَمَّا طَرَدَ الـلَّهُ الشَّيْطَانَ، وَطَهَّـرَ الْمَلاكُ الكُتْلَةَ مِنَ التُّـرَابِ الَّتِي بَصَقَ

عَلَيْـهَـا الشَّـيْطَان، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ شيءٍ حَـيٍّ منَ الحـيوانات الَّـتي تَطيـرُ وَمنَ الَّتي تَدبُّ وَتَسْبَحُ، وزيَّنَ الْعَالَمَ بكُلِّ مَا فيه. فَاقْـتَرَبَ الشَّيْطَانُ يَوْماً مَا منْ أَبْوَابِ الْجَنَّة؛ فَلَمَّا رَأَى الْخَـيْلَ تَأْكُلُ الْعُشْبَ أَخْـبَرَهَا أَنَّهُ إذَا تَأَتَّى لتـلْكَ الْكُتْلَة منَ التُّرَاب أنْ يَصـيرَ لهـا نَفْسٌ أصَابَهَا ضَنْكٌ. وَلَذَلكَ كَانَ منْ مَصْلَحَتهَا أَنْ تَدُوسَ تلْكَ الْقطْعَةَ منَ التُّرَاب عَلَى طَرِيقَة لاَ تَكُونُ بَعْدَهَا صَالحَةً لشَيْءٍ. فَثَارَت الْخَـيْلُ وَاخَذَتْ تَعدُو بشدَّةٍ عَلَى تلك القطعة من التراب التي كانت بين الزنابق والورود، فأعطى اللَّه من ثم روحاً لذلك الجزء النجس من التراب الذي وقع عليه بصاق الشيطان الذي كان أخذه جبريل من الكتلة وأنشأ الكلب، فأخـذ ينبح، فَرَوَّعَ الخـيل فهربـت. ثم أعطي اللَّه نَفَسَـه للإنسان وكانت الملائكـة كلها ترنم: اللهم ربنا تبارك اسمك القدوس.

فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها: **لاَ إِلَه إلاَّ اللَّهُ وَمُحَـمَّدٌ رَسُـولُ اللَّه**. ففتح حينئذ آدم فـاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتـني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما مـعنى هذه الكلمات: **مُـحَمَّـدٌ رَسُـوْلُ اللَّه؟** فأجاب الله: مرحبا بك يا عبدي آدم. وإني أقول لك: إنك أول إنسان خُلقْت. وَهَذَا الَّذي رَأَيْتَهُ إنَّمـا هُوَ ابْنُكَ الَّذي سيـأتي إلى العالم بعـد الآن بسنين عديدة. وسـيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي مـتى جاء سيعطي نوراً للعالم. الذي كـانت نَفْسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً. فضرع آدم إلى اللَّه قائلاً: يا رب هَبْني هذه الكتابة على أظفار أصابـع يدي. فمنح اللَّه الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميـه على ظفر إبهام اليد اليـمنى ما نصه: لا إله إلا الله. وعلى ظفـر إبهام اليد اليسرى ما نصه: محمد رسول الله.

فقبل الإنســان الأول بحنو أبوي هذه الكلمات، ومسح عينيـه وقال: بورك ذلك اليوم الذي ستـأتي فيـه إلى العالم. فلمـا رأى اللَّه الإنسان وحـده قال: ليس حـسناً أن يكون وحده. فلذلك نومـه. وأخذ ضلعاً من جهـة القلب، وملأ الموضع لحمـاً. فخلق من تلك الضلع حـواء، وجعلهـا امرأة لآدم. وأقام الزوجـين سيِّدَي الجنة، وقـال لهمـا: انظرا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلا منه، خلا التفاح والحنطة. ثم قال: احذرا أن تأكلا شيئاً من هذه الأثمار؛ لأنكما تصيـران نجسين، فلا أسمح لكما بالبقاء هنـا، بل أطردكما ويحل بكما شقاء عظيمٌ.

فلما عَلِمَ الشيطان بذلك تميز غيظاً، فاقترب إلى باب الجنة حيث كان الحارس حية مخوفة لها قوائم كجمل وأظافر أقدامها محددة من كل جانب كموسى. فقال لها العدو: اسمحي لي بأن أدخل الجنة. أجابت الحية: وكيف أسمح لك بالدخول وقد أمرني اللَّه بأن أطردك؟ أجاب الشيطان: ألا ترين كم يحبك اللَّه إذ أقامك خارج الجنة لتحرسي كتلة من الطين وهي الإنسان؟ فإذا أدخلتني الجنة أجعلك رهيبة حتى أن كل أحد يهرب منك، فتذهبين وتقيمين حسب إرادتك. فقالت الحية: وكيف أدخلك؟ أجاب الشيطان: إنك كبيرة فافتحي فاكِ فأدخلُ بطنك، فمتى دخلتِ الجنة ضعيني بجانب هاتين الكتلتين من الطين اللتين تمشيان حديثاً على الأرض. ففعلت عندئذ الحية ذلك، ووضعت الشيطان بجنب حواء لأن آدم زوجها كان نائماً.

فتمثل الشيطان للمرأة ملاكاً جميلاً وقال لها: لماذا لا تأكلان من هذا التفاح وهذه الحنطة؟ أجابت حواء: قال لنا إلهنا: إنا إذا أكلنا منها صرنا نجسين؛ ولذلك يطردنا من الجنة. فأجاب الشيطان: إنه لم يقلِ الصدق، فيجب أن تعرفي أن اللَّه شريرٌ وحسودٌ، ولذلك لا يحتمل أنداداً، ولكنه يستعبد كل أحد؛ وهو إنما قال لكما ذلك لكيلا تصيرا ندّين له، ولكن إذا كنت وعشيرك تعملان بنصيحتي فإنكما تأكلان من هذه الأثمار كما تأكلان من غيرها، ولا تلبثان خاضعين لآخرين، بل تعرفان الخير والشر كاللَّه وتفعلان ما تريدان؛ لأنكما تصيران ندّين للَّه. فأخذت حينئذ حواء وأكلت من هذه الأثمار. ولما استيقظ زوجها أخبرته بكل ما قال الشيطان، فتناول منها ما قدمت له وأكل. وبينما كان الطعام نازلا؛ ذكر كلام اللَّه؛ فلذلك أراد أن يُوقِف الطعام، فوضع يده في حلقه حيث كل إنسان له علامةٌ.

حينئذ علم كلاهما أنهما كانا عريانين، فلذلك استحييا وأخذا أوراق تين وصنعا ثوباً لسوأتيهما. فلما مالت الظهيرة إذا باللَّه قد ظهر لهما، ونادى آدم قائلاً: آدم أين أنت؟ فأجاب: يا رب تخبأت من حضرتك؛ لأني وامرأتي عريانان فلذلك نستحي أن نتقدم أمامك. فقال الله: ومن اغتصب منكما براءتكما إلا أن تكونا أكلتما الثمر فصرتما بسببه نجسين. ولا يمكنكما أن تمكثا بعد في الجنة؟ أجاب آدم: يا رب إن الزوجة التي أعطيتني طلبت مني أن آكل فأكلت منه.

حينئذ قال اللَّه للمرأة: لماذا أعطيت طعاما كهذا لزوجك؟. فأجابت حواء: إن الشيطان خدعني فأكلت. قال اللهُ: كيف دخل ذلك الرجيم إلى هنا؟ أجابت حواء: إن الحية التي تقف على الباب الشمالي من الجنة أحضرته إلى جانبي. فقال اللَّه لآدم: لتكن الأرض ملعونة بعملك لأنك أصغيت لصوت امرأتك وأكلت الثمر. لتنبت لك حسكا وشوكا. ولتأكل الخبز بعرق وجهك، واذكر أنك ترابٌ وإلى التراب تعود. وكلم حواء قائلاً: وأنتِ التي أصغيت للشيطان. وأعطيت زوجك الطعام تلبثين تحت تسلط الرجل الذي يعاملك كأمة. وتحملين الأولاد بالألم. ولما دعا الحية دعا الملاك ميخائيل الذي يحمل سيف اللَّه وقال: اطرد أولاً من الجنة هذه الحية الخبيثة. ومتى صارت خارجا فاقطع قوائمها. فإذا أرادت أن تمشي يجب أن تزحف. ثم نادى اللَّه بعد ذلك الشيطان فأتى ضاحكا. فقال له: لأنك أيها الرجيم خدعت هذين وصيرتهما نجسين أُريدُ أن تدخل في فمكَ كُلُّ نجاسةٍ فيهما وفي كلٍّ أولادهما متى تابوا عنها وعبدوني حقا. فخرجت منهم فتصير مكتظا بالنجاسة. فجأرَ الشيطانُ حينئذ جأرا مخوفاً. وقال: لما كنت تريدُ أن تُصيرني أردأ مما أنا عليه فإني سأجعل نفسي كما أقدرُ أن أكونَ.

حينئذ قال اللهُ: انصرفْ أيها اللعين من حضرتي. فانصرف الشيطان. ثم قال اللهُ لآدمَ وحواَّءَ اللذين كانا ينتحبان: اخرجا من الجنة. وجاهدا أبدانكما ولا يضعف رجاؤكما. لأني أُرسلُ ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنسِ البشري. لأني سأُعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء. فاحتجب اللهُ وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس. فلما التفت آدمُ رأى مكتوبا فوق الباب: لا إله إلا اللَّه محمد رسول الله. فبكى عند ذلك وقال: أيها الابن عسى اللَّه أن يريد أن تأتي سريعا وتخلصنا من هذا الشقاء. قال يسوع: هكذا أخطأ الشيطان وآدم بسبب الكبرياء. أما أحدهما فلأنه احتقر الإنسان. وأما الآخر فلأنه أرادَ أن يجعلَ نفسَهُ نِدًّا للَّه» [برنابا ٣٩ +]

ميثاق النبيين

وأول ميثاق مع النبيين أن يعرّفوا الناس بمحمد ﷺ وأن يأمروا الناس بالدخول في دينه إذا ما بُعث: هو أنه مكتوب على باب الجنة اسمه ـ تصوّرا ـ وأن آدم ـ عليه السلام ـ تمنى سرعة بعثه فقال: «أيها الابن عسى اللَّه أن يُريد أن تأتي سريعا، وتخلصنا من هذا

الشقاء» وإذ هو طلبه على وجـه السرعة؛ ليخلّص. فإنه ١ـ يكون قد رضي مـجيئه ٢ ـ ويكون قد عـرّف بنيه بخـبره ٣ ـ ويكون مـعرّفـا لهم أن الخلاص لا يكون إلا بسـماع كلامه.

وإذ هم يريدون أن يخلصوا، وأن يرجـعوا إلى حيث كان أبوهم آدم وأمـهم حواء؛ فإنهم لا يخلصـون إلا به ويكونون قد دخلوا في ميـثاق مع الله: أنهم إذا أتاهم هُدىً، وانتفعوا به؛ فإنهم يرجعون إلى حيث كان أبوهم آدم، وأمهم حواء.

وهذا يُعرف من قول اللّه تعالى لآدم وحواء: «اخـرجا من الجنة، وجاهدا أبدانكما، ولا يضعف رجاؤكما؛ لأني أُرْسل ابنكما على كـيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري؛ لأني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء»

وفي هذا القـول: ١ ـ أمر بالخـروج بسبب الخطـيئـة. ٢ ـ سيكون من يعـمل بكلام الابن؛ راجعـا إلى الجنة. وهذا شرط وقبـول ومعناهمـا: ١ ـ أن العمل بكلام الابن ٢ ـ يرجع إلى الجنة. ٣ ـ فمن يبغي الخلاص؛ فليقبل كلام الابن ومن لا يبغيه فليقبل كلام الشيطان، ولا يقبل كلام الابن.

وهذا الميثاق ـ بهذا المعنى ـ مـذكور في القرآن وفي التوراة [١] وفي الإنجيـل: ففي القرآن الكريم أن هذا الميثاق كان بين اللّه تعالى وبين بنيه.

(١) في القرآن الكريم ما له شبه في التلمود بالمعنى..
وما توافق فـيها بالمعنـى. يدل على أن الذي في التلمود كان في الـتوراة الأصلية، ورفـعه اليهـود منها، ووضعوه في التلمود، وهذه أمثلة:

الموضوع	مكانه في القرآن	المكان المقتبس منه
١ ـ تعلم قابيل من الـغراب كيفـية دفن أخيه.	سورة المائدة: ٣٠ ـ ٣٥ . سورة البقرة ٢: ٢٦٠ .	كتاب فرقي ربي أليعزر فصل ٢١
٢ ـ طرح نمرود لإبراهيـم في النار وعدم مقدرة النار على إحراقه.	سورة الأنعام٦: ٧٤ ـ ٨٤ . سورة الأنبياء٢١: ٥٢ ـ ٧٢ . سورة مريم ١٩: ٤٢ ـ ٥٠ . سورة الشعراء٢٦: ٦٩ ـ ٧٩ . سورة العنكبوت٢٩: ١٥ ـ ١٦ . سورة الصافات٣٧: ٨١ ـ ٩٥ .	مدراس رباه فـصل ١٤ في تفسـير تك ١٥: ١٧ .

ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

وقوله تعالى: ﴿هُدًى﴾ جاء بصيغة التنكير ليشمل أي شريعة. وهو هنا قول خاص وليس عاما، وإن كان ظاهره العموم، ويدل على خصوصه: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لقد قال حال الأمر بالهبوط ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى﴾ والقول حال الأمر بالهبوط هو: «اخرجا من

الموضوع	مكانه في القرآن	المكان المقتبس منه
٣ ـ اجتماع سليمان الملك بمجلسه المكون من الجن والعفاريت والطيور وأخبار الهدهد عن ملكة سبأ وكيفية إحضار عرشها لسليمان.	سورة الزخرف٤٣: ٢٥ ـ ٢٧ . سورة الممتحنة٦٠: ٤٠ . سورة النمل٢٧: ١٧ ـ ٤٥ .	الترجوم الثاني عن كتاب أستير .
٤ ـ تركيب الشهوة في الملاكين هاروت وماروت وارتكابهما شرب الخمر والزنا والقتل وتعليم الناس السحر.	سورة البقرة٢: ٩٦ .	مدراس يلكوت الفصل ٤٤ .
٥ ـ رفع الجبل فوق رءوس اليهود.	سورة الأعراف٧: ١٧٠ .	عبوداه زاره الفصل الثاني .
٦ ـ العجل الذهبي ذو الخوار.	سورة الأعراف٧: ١٥٧ .	كتاب فرقي ربى ألعازار فصل ٤٥
٧ ـ وجود سبع سموات وسبعة أبواب لجهنم.	وسورة طه٢٠: ٩١ . سورة الإسراء١٧: ٤٦و٨٨ . سورة الحجر١٥: ٤٤ .	حكيكاه باب ٩ فصل ٢ وكتاب ذوهر فصل ٢ .
٨ ـ كان عرشه على الماء.	سورة هود١١: ٩ .	تفسير راشي في تك ١: ٢ .
٩ ـ الأعراف وهو الحاجز الرقيق بين الجنة والنار.	سورة الأعراف٧: ٤٤ .	مدراس تفسير جامعة٧: ١٤ .
١٠ ـ كان الطوفان من الماء المغلي.	سورة هود١١: ٤٢ .	كتاب روش هشاناه فصل١٦: ٢ . سنهدرين فصل ١٠٨ .
١١ ـ اللوح المحفوظ	سورة البروج٨٥: ٢١و٢٢ .	فرقي أبوت باب ٥ فصل ٦ .

الجنة، وجاهدا أبدانكما، ولا يضعف رجاؤكما؛ لأني أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري؛ لأني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء» فيكون الهدى الذي به يخلصون؛ هو الهدى الآتي مع الابن، وقد فهم آدم أن الرجوع إلى الجنة لن يكون إلا بالإيمان بالابن، فلذلك قال: «أيها الابن عسى اللّه أن يريد أن تأتي سريعا، وتخلصنا من هذا الشقاء»

فإذا جاء الابن، فإن الرادّين لكلامه؛ سيخلدون في النار، ولفظ الخلود في النار في القرآن لا يكون إلا لليهود والمسيحيين، وهذه قرينة تدل على أن الهدى الآتي هو الهدى الآتي مع محمد ﷺ لأن المعاصرين له، من لا يؤمن منهم به، سيُخلدون في النار. ويدل على أن المعاصرين له، المخلّدين فيها هم اليهود: قوله: ﴿والذين كفروا﴾ واسم الموصول يدل على كفّار بأعيانهم واليهود في القرآن موصوفون بالكفر ومنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾

فلما جاء زمان نوح ـ عليه السلام ـ كان في الناس مؤمن وكافر، فيكون الميثاق مستمرا مع المؤمنين، فلذلك قال لنوح ومن معه بعد غرق الكافرين بطوفان الماء:

«وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم. . . .» وهذا الميثاق هو الذي كان مع آدم وبنيه، وذلك لقوله: «فها أنا آت بطوفان الماء على الأرض؛ لأهلك كل جسد، فيه روح حياة من تحت السماء كل ما في الأرض يموت، ولكن أقيم عهدي معك» [تك ٦: ١٧ ـ ١٨] فقوله: «ولكن أُقيم عهدي معك» يدل على انتقال العهد من آدم والمؤمنين إلى نوح والمؤمنين، ويدل على أن العهد لا يدخل فيه الكافرون، في كل زمان.

وكاتب التوراة لم يذكر العهد مع آدم؛ لأن فيه ذكر محمد رسول اللّه ﷺ وقد ذكره المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ ويدل ذكر المسيح له على أنه ينقل من التوراة الأولى، أو هو من وحي اللّه عليه، والتوراة المكتوبة تؤيد كلام المسيح، فإن انتقال الميثاق إلى نوح يدل على أن آدم كان معه ميثاق، ذلك قوله لنوح: «ولكن أقيم عهدي معك» ـ «وها أنا مقيم ميثاقي معكم، ومع نسلكم من بعدكم»، وانتقال الميثاق إلى إبراهيم يدل أيضا، وذلك قوله: «ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة؛ ظهر الرب لأبرام وقال له: أنا اللّه القدير سر أمامي وكن كاملا؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا»

وقبل أن نسترسل في الكلام عن انتقال ميثاق النبيين نذكر عقيدة المسيحيين في الخلاص:

يقول آدم - عليه السلام - للابن: «عسى اللّه أن يريد أن تأتي سريعا، وتخلّصنا من هذا الشقاء» والشقاء إما أن يراد به ١ - الخلاص من الحر والبرد والجوع والعري، وما شابه ذلك ٢ - وإما أن يراد به: زيادة قدرة في بني آدم ليتغلبوا بها على وساوس الشياطين، والمعنى الأول غير مراد؛ لقوله: «مدة كل الأرض زرع وحصاد وبرد وحر وصيف وشتاء ونهار وليل. لا تزال» {تك ٨: ٢٢}

والمعنى الثاني هو المراد، ويبدأ تغلبهم من بعثة الابن وهو محمد ﷺ ذلك قوله: «لأني أُرسل ابنكما على كيفية يُمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري؛ لأني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء» فالتغلب على الشيطان هو الذي يخلص المرء من وساوس الشيطان، ويساعده على الأعمال الصالحة على وفق شريعة الابن، وبذلك يرجع إلى الجنة التي طُرد منها منفيا، أما خطيئة آدم نفسه؛ فإنها قد غُفرت له، حال توبته منها، وهذا هو نص التوراة على أن آدم تاب، وتاب اللّه عليه: «والحكمة هي التي حمت الإنسان الأول، أبا العالم، الذي خُلق وحده لما سقط في الخطيئة؛ رفعته من سقوطه، ومنحته سلطة على كل شيء» {حك ١٠: ١ - ٢}

واليهود لما أجبروا النصارى هم وأهل الروم في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م على أن يضعوا نبوءات التوراة التي هي كلها لمحمد ﷺ على عيسى - عليه السلام - كان من النبوءات نبوءة الخلاص من سيطرة الشيطان على الجنس البشري، وأنها لا تخفّ ولا تضعف إلا إذا بُعث محمد ﷺ وعملوا بشريعته، إذ هي سهلة، وإذ الملائكة تتنزل على قلب المستقيم قائلة له: لا تخف ولا تحزن، وتبشره بالجنة، لا نبوءة الخلاص من تسلسل خطيئة آدم وانتقالها في أبنائه؛ لأن بتوبته زالت خطيئته، ولكنهم لعلمهم بأن عيسى - عليه السلام - لم يعطهم شريعة تضعف سلطة الشيطان، إذ شريعته هي شريعة موسى وهي شريعة فيها إصر وأغلال، احتالوا على الناس بأن إضعاف سلطة الشيطان على الجنس البشري ليس هو المراد من الخلاص، وإنما المراد خطيئة آدم نفسها، ثم وضعوا الخلاص من الخطيئة على عيسى - عليه السلام - بقولهم: إنه قد قتل وصُلب ودفن في

القبر وتألم ثلاثة أيام في نار جهنم، وقام من الأموات وانتصر على الموت وإنه هو «الابن» الذي قال فيه آدم: «أيها الابن عسى اللَّه أن يريد أن تأتي سريعا، وتخلّصنا من هذا الشقاء».

ونعود إلى الكلام في ميثاق النبيين:

ونقول: إن الشيطان قد خرج من الجنة هو وذريته عقب الإباء عن السجود لآدم ثم خرج آدم وحواء. و نسل الجن الذين سجدوا، كانوا في الأرض. وذلك لأنهم سيكونون معاونين لبني آدم في عمارة الأرض، وقد خاطب اللَّه آدم وحواء ومن وُلد لهما من البنين والبنات في الجنة، بقوله: ﴿**قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾

وهبطوا جميعا، وتغلّب عليهم الشيطان، فجعل من الآدميين مؤمن وكافر، وجعل من الجن الساجد مؤمن وكافر، إلى أن جاء محمد ﷺ وقال: ﴿**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن تَقُولَ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلا يَخَافُ بَخْسًا وَلا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) وَأَن لَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا (١٦) لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا (١٨) وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا (١٩) قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (٢٠) قُلْ إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَن**

يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٢) إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا (٢٣) حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا (٢٤) قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (٢٥) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (٢٨) ﴾

في حضرة الجن الذين سجدوا، والشياطين الذين لم يسجدوا، والملائكة النورانيون؛ أخذ اللَّه الميثاق على آدم. وهو من يطع؛ فإنه يرجع إلى الجنة، وأن الابن سوف يُرسله في حينه ليرفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري، بشريعته السهلة، وأنه سيؤخر ظهوره لحكمة يعلمها وسوف يرسل رسلا ليمهدوا الطريق إليه. وانتقل الميثاق إلى نوح من بعد الطوفان وبلغه إلى المؤمنين، ليعرفوا به من يأتي من بعدهم، ثم انتقل إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ ثم انتقل إلى إسماعيل ابنه، الذي سيأتي الابن من أولاده.

وهذا هو البيان:

أولاً: الميثاق مع آدم ـ عليه السلام ـ

«أجَابَ يَسُوعُ: لَمَّا طَرَدَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ، وَطَهَّرَ الْمَلَاكُ الكُتْلَةَ مِنَ التُّرَابِ الَّتِي بَصَقَ عَلَيْهَا الشَّيْطَانُ، خَلَقَ اللَّهُ كُلَّ شيءٍ حَيٍّ مِنَ الحيوانات الَّتي تَطِيرُ وَمِنَ الَّتِي تَدبُّ وَتَسْبَحُ، وزَيَّنَ الْعَالَمَ بِكُلِّ مَا فيه. فَاقْتَرَبَ الشَّيْطَانُ يَوْماً مَا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَلَمَّا رَأَى الْخَيْلَ تَأكُلُ الْعُشْبَ أَخْبَرَهَا أَنَّهُ إِذَا تَأتَّى لِتِلْكَ الْكُتْلَةِ مِنَ التُّرَابِ أنْ يَصِيرَ لها نَفسٌ أَصَابَهَا ضَنْكٌ. وَلِذَلِكَ كَانَ مِنْ مَصْلَحَتِهَا أَنْ تَدُوسَ تِلْكَ الْقِطْعَةَ مِنَ التُّرَابِ عَلَى طَرِيقَةٍ لاَ تَكُونُ بَعْدَهَا صَالِحَةً لِشَيْءٍ. فَثَارَتِ الْخَيْلُ وَأخَذَتْ تَدُو بِشِدَّةٍ عَلَى تلك القطعة من التراب التي كانت بين الزنابق والورود، فأعطى اللَّه من ثم روحاً لذلك الجزء النجس من التراب الذي وقع عليه بصاق الشيطان الذي كان أخذه جبريل من الكتلة وأنشأ الكلب، فأخذ ينبح، فَرَوَّعَ الخيل فهربت. ثم أعطي اللَّه نَفَسه للإنسان وكانت الملائكة كلها ترنم: اللهم ربنا تبارك اسمك القدوس.

فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها: **لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ**

وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه. ففتح حينئذ آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه؟ فأجاب الله: مرحبا بك يا عبدي آدم. وإني أقول لك: إنك أول إنسان خُلقت. وَهَذَا الَّذِي رَأَيْتَهُ إِنَّمَا هُوَ ابْنُكَ الَّذِي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة. وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطي نوراً للعالم. الذي كانت نَفْسه موضوعة في بهاء سماوي ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئاً. فضرع آدم إلى اللَّه قائلاً: يا رب هَبْنِي هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي. فمنح اللَّه الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصه: لا إله إلا الله. وعلى ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصه: محمد رسول الله.

فقبل الإنسان الأول بحنو أبوي هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال: بورك ذلك اليوم الذي ستأتي فيه إلى العالم. فلما رأى اللَّه الإنسان وحده قال: ليس حسناً أن يكون وحده. فلذلك نومه. وأخذ ضلعاً من جهة القلب، وملأ الموضع لحماً. فخلق من تلك الضلع حواء، وجعلها امرأة لآدم. وأقام الزوجين سيِّدَي الجنة، وقال لهما: انظرا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلا منه، خلا التفاح والحنطة. ثم قال: احذرا أن تأكلا شيئاً من هذه الأثمار؛ لأنكما تصيران نجسين، فلا أسمح لكما بالبقاء هنا، بل أطردكما ويحل بكما شقاء عظيمٌ.

فلما عَلِمَ الشيطان بذلك تميز غيظاً، فاقترب إلى باب الجنة حيث كان الحارس حية مخوفة لها قوائم كجمل وأظافر أقدامها محددة من كل جانب كموسى. فقال لها العدو: اسمحي لي بأن أدخل الجنة. أجابت الحية: وكيف أسمح لك بالدخول وقد أمرني اللَّه بأن أطردك؟ أجاب الشيطان: ألا ترين كم يحبك اللَّه إذ أقامك خارج الجنة لتحرسي كتلة من الطين وهي الإنسان؟ فإذا أدخلتني الجنة أجعلك رهيبة حتى أن كل أحد يهرب منك، فتذهبين وتقيمين حسب إرادتك. فقالت الحية: وكيف أدخلك؟ أجاب الشيطان: إنك كبيرة فافتحي فاكِ فأدخلُ بطنكِ، فمتى دخلتِ الجنة ضعيني بجانب هاتين الكتلتين من الطين اللتين تمشيان حديثاً على الأرض. ففعلت عندئذ الحية ذلك، ووضعت الشيطان بجنب حواء لأن آدم زوجها كان نائماً.

فتمثل الشيطان للمرأة ملاكاً جميلاً وقال لها: لماذا لا تأكلان من هذا التفاح وهذه الحنطة؟ أجابت حواء: قال لنا إلهنا: إنا إذا أكلنا منها صرنا نجسين؛ ولذلك يطردنا من الجنة. فأجاب الشيطان: إنه لم يقل الصدق، فيجب أن تعرفي أن اللَّه شريرٌ وحسودٌ، ولذلك لا يحتمل أنداداً، ولكنه يستعبد كل أحد؛ وهو إنما قال لكما ذلك لكيلا تصيرا ندّين له، ولكن إذا كنت وعشيرك تعملان بنصيحتي فإنكما تأكلان من هذه الأثمار كما تأكلان من غيرها، ولا تلبثان خاضعين لآخرين، بل تعرفان الخير والشر كاللَّه وتفعلان ما تريدان؛ لأنكما تصيران ندّين للَّه. فأخذت حينئذ حواء وأكلت من هذه الأثمار. ولما استيقظ زوجها أخبرته بكل ما قال الشيطان، فتناول منها ما قدمت له وأكل. وبينما كان الطعام نازلا؛ ذكر كلام اللَّه؛ فلذلك أراد أن يُوقِف الطعام، فوضع يده في حلقه حيث كل إنسان له علامةٌ.

حينئذ علم كلاهما أنهما كانا عريانين، فلذلك استحييا وأخذا أوراق تين وصنعا ثوباً لسوأتيهما. فلما مالت الظهيرة إذا باللَّه قد ظهر لهما، ونادى آدم قائلاً: آدم أين أنت؟ فأجاب: يا رب تخبأت من حضرتك؛ لأني وامرأتي عريانان فلذلك نستحي أن نتقدم أمامك. فقال الله: ومن اغتصب منكما براءتكما إلا أن تكونا أكلتما الثمر فصرتما بسببه نجسين. ولا يمكنكما أن تمكثا بعد في الجنة؟ أجاب آدم: يا رب إن الزوجة التي أعطيتني طلبت مني أن آكل فأكلت منه.

حينئذ قال اللَّه للمرأة: لماذا أعطيت طعاما كهذا لزوجك؟. فأجابت حواء: إن الشيطان خدعني فأكلت. قال اللهُ: كيف دخل ذلك الرجيم إلى هنا؟ أجابت حواء: إن الحية التي تقف على الباب الشمالي من الجنة أحضرته إلى جانبي. فقال اللَّه لآدم: لتكن الأرض ملعونة بعملك لأنك أصغيت لصوت امرأتك وأكلت الثمر. لتنبت لك حسكا وشوكا. ولتأكل الخبز بعرق وجهك، واذكر أنك ترابٌ وإلى التراب تعود. وكلم حواء قائلاً: وأنتِ التي أصغيت للشيطان. وأعطيت زوجك الطعام تلبثين تحت تسلط الرجل الذي يعاملك كأمة. وتحملين الأولاد بالألم. ولما دعا الحية دعا الملاك ميخائيل الذي يحمل سيف اللَّه وقال: اطرد أولاً من الجنة هذه الحية الخبيثة. ومتى صارت خارجا فاقطع قوائمها. فإذا أرادت أن تمشي يجب أن تزحف. ثم نادى اللَّه بعد ذلك الشيطان فأتى

ضاحكا. فقال له: لأنك أيها الرجيم خدعت هذين وصيرتهما نجسين أُريدُ أن تدخل في فمكَ كُلُّ نجاسةٍ فيهما وفي كلٍّ أولادهما متى تابوا عنها وعبدوني حقا. فخرجت منهم فتصير مكتظا بالنجاسة. فجارَ الشيطانُ حينئذ جُآرا مخوفاً. وقال: لما كنت تريدُ أن تُصيرني أردأ مما أنا عليه فإني سأجعل نفسي كما أقدرُ أن أكونَ.

حينئذ قال اللهُ: انصرفْ أيها اللعين من حضرتي. فانصرف الشيطان. ثم قال اللهُ لآدمَ وحوَّاءَ اللذين كانا ينتحبان: اخرجا من الجنة. وجاهدا أبدانكما ولا يضعف رجاؤكما. لأني أُرسلُ ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنسِ البشري. لأني سأُعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء. فاحتجب اللهُ وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس. فلما التفت آدمُ رأى مكتوبا فوق الباب: لا إله إلا اللّٰه محمد رسول الله. فبكى عند ذلك وقال: أيها الابن عسى اللّٰه أن يريد أن تأتي سريعا وتخلصنا من هذا الشقاء. قال يسوع: هكذا أخطأ الشيطان وآدم بسبب الكبرياء. أما أحدهما فلأنه احتقر الإنسان. وأما الآخر فلأنه أرادَ أن يجعلَ نفسَهُ نِداًّ للّٰه» [برنابا ٣٩ +]

البيان:

إنه صوّر لآدم والحاضرين كيفية مجيء الابن ـ الذي هو محمد ﷺ ـ وأنه سيعطيه شريعة سهلة يمكن بها رفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري، وبعدما صور لهم كيفية مجيئه؛ كتبه لهم في كتاب، فصار الكتاب مُعرفا بما حدث في هذا التصور، وهذا هو معنى أن محمدا ﷺ أول خلق الله، تصورا وكتابة، والدليل على أنه تصوّر لا أن جسده قد خلق وقتئذ، وأنه يكلم الناس بهذا التصور على قدر عقولهم، وأنه جعل المتخيل حقيقة ليؤكد على أن هذا سيتم في حينه: هو أن التوراة تنفي المكان عن اللّٰه عز وجل، وتظهر أنه بذاته وعلمه في كل مكان، وأنه تعالى ليس كمثله شيء، ولا تجوز عليه الحركة والنقلة، كما هو عندنا نحن المسلمين، ومن كانت هذه صفته؛ فإنه لا يمشي، ولا يظهر لأحد ويكلمه وجها لوجه، وفي القصة: أنه مشى، وظهر لهما ونادى آدم قائلا: آدم أين أنت؟ **وهذه التعابير موجودة في التوراة وفي الإنجيل وفي القرآن للدلالة على أن اللّٰه يكلم الناس عن نفسه على قدر عقولهم، فهو يقول في القرآن:**

﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ** ﴾ وهو لم ينسهم حتى يرتب ذكره

لهم على ذكرهم له، وهكذا ففي التوراة: «وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان؛ فاختبأتُ، فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟...» [تك ٣: ٨ -]

وفي كتب اليهود: أن اللَّه خلق محمداً ﷺ في البدء، على معنى التصور والإخبار بهذا التصور؛ فصار الإخبار به شبه وجوده بالجسم، لأن وعد اللَّه لا يتخلف.

ولكنهم لا يكتبون اسم محمد، وإنما يكتبون بدله لقبا خاصا به وهو «المسيح» أو «المَسِيّا»

ففي بحث على الانترنت باللغة الإنجليزية: «في البدء قبل وجود السماء والأرض بألفي سنة؛ خُلقت سبعة أشياء هي: التوراة التي كتبت بنار سوداء على نار بيضاء، ووضعت في حاشية (حضن - مهد) الله، والعرش الإلهي الذي نصب في السماء، والجنة على يمين الله، وجهنم على يسار الله، والقدس السماوي أمام اللَّه مباشرة، وبه جوهرة (درّة) على محرابه، منقوش عليها اسم المَسِيّا، وصوت يصرخ عاليا ويقول: هلموا عودوا يا أطفال الرجال.

ربما جاءت هذه البيانات الخاصة بالخلق في اليهودية التلمودية...»

والمسيحيون معترفون بأن النبي المنتظر موجود تصورا، ومخبر عنه كتابة، في البدء. ولكنهم يزعمون أنه هو المسيح عيسى بن مريم - عليه السلام - مع أنهم يقرءون في الكتب أن المسيح عيسى - عليه السلام - بشر بمحمد ﷺ من بعده، وسمي مملكته بملكوت الله، وقال: إنها قد اقتربت.

ثانيا: الميثاق مع نوح - عليه السلام -:

في الأصحاح التاسع من سفر التكوين:

«وكلم اللَّه نوحاً وبنيه معهُ قائلاً: وها أنا مقيمٌ ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم ومع كل ذوات الأنفس الحية التي معكم. الطيور والبهائم وكل وحوش الأرض التي معكم من جميع الخارجين من الفلك حتى كل حيوان الأرض. أقيم ميثاقي معكم فلا

ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان. ولا يكون أيضاً طوفانٌ ليخرب الأرض. وقال اللّه: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعهُ بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحيَّة التي معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض، وتظهر القوس في السحاب. أني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حيَّة في كل جسدٍ. فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسدٍ. فمتى كانت القوس في السحاب أُبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين اللّه وبين كل نفس حيَّة في كل جسد على الأرض. وقال اللّه لنوح: هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمتهُ بيني وبين كل ذي جسدٍ على الأرض» [تكوين ٩: ٨ ـ ١٧]

البيان:

إن ميثاق آدم انتقل إلى نوح [(١)] والمؤمنين به، ووعد بعدم انقراض النسل بطوفان الماء، ثم خاطبهم على قدر عقولهم فقال: إن القوس الذي يظهر في السحاب سيذكّرني بوعدي هذا، حتى لا أنسى وأهلك بطوفان الماء، واللّه تعالى لا ينسى، ولا يحتاج إلى من يذكره، وإنما هو يكلمهم عن نفسه على قدر عقولهم، ثم يكتب لهم في التوراة عن نفسه أنه ليس كمثله شيء؛ ففي سفر التثنية: «ليس مثل الله» [تث٣٣: ٢٦] «لم ينس صراخ المساكين» [مز٩: ١٢] «قد أقسم الرب بفخر يعقوب أني لن أنسى إلى الأبد جميع أعمالهم» [عا ٨: ٧] وفي الإنجيل: «ليس منسيا أمام الله» [لو ١٢: ٦] ويجئ النسيان

---

(١) «وبارك اللّه نوحاً وبنيه وقال لهم: أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض. ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض وكل طيور السماء. مع كل ما يدبُّ على الأرض وكل أسماك البحر قد دُفعَتْ إلى أيديكم. كل دابةٍ حيةٍ تكون لكم طعاماً. كالعشب الأخضر دفعتُ إليكم الجميع. غير أن لحماً بحياته دمه لا تأكلوهُ. وأطلبَ أنا دمكم لأنفسكم فقط. من يد كل حيوان أطلبهُ. ومن يد الإنسان أطلبُ نفَس الإنسان. من يد الإنسان أخيه. سافك دم الإنسان. بالإنسان يُسفَكُ دمهُ. لأن اللّه على صورتهِ عمل الإنسان. وأثمروا أنتم وأكثروا وتوالدوا في الأرض وتكاثروا فيها»

وقوله «وبارك اللّه نوحا وبنيه» يدل على أنه جعل لنوح ولنسله ملكا على الأمم وبركته تفسر بالملك على الأمم والشعوب ليمكنوا للشريعة. كما هو معنى البركة في إبراهيم وفي إسحق وفي إسماعيل. وشريعة نوح هي: «كل دابة حية تكون لكم طعاما... إلخ» وقد شرح هذا الموضوع الإمام ابن كثير في تفسير سورة آل عمران عند الآية ٩٣ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ .

بمعنى الإهمال: «اللَّه قد نسي حجب وجهه» {مز ١٠ :١١} «لأن شعبي قد نسيني» {إر ١٨ :١٥}.

الربط بين ميثاق آدم وميثاق نوح
وميثاق العاقر التي لم تلد
في موضوع محمد ﷺ:

في كتب تفسير التوراة: أن اللَّه لما أراد أن يهلك الكافرين بطوفان الماء، قال لنوح ـ عليه السلام ـ: «ولكن أقيم عهدي معك» {تك ٦ :١٨} وهو العهد المأخوذ على آدم عليه السلام وأن هذا العهد نفسه لما صار إلى نوح ونسله من بعده، سيتحقق في نسل المرأة العاقر التي تحدث عنه إشعياء في الأصحاح الرابع والخمسين، ولكن «بُولُس» يفسر المرأة العاقر بأنها رمز لأورشليم في حالة ظهور «المسيا» بأنها ستكون أحسن حالا في أيامه، من أيامها مع شريعة موسى عليه السلام، والحق: أنها مكة المكرمة لأنه لم يظهر من إسماعيل نبي إلى زمان محمد، فأشبهت بذلك العاقر التي لم تلد .فيكون الميثاق على هذا التفسير خاصا بمحمد ﷺ والذي يهمنا هنا: هو أن التوراة ربطت بين ميثاق آدم وميثاق نوح وميثاق العاقر، وجعلتهم لواحد.

هم فسروه بالمسيح ابن مريم مع أن أورشليم لا تشبه العاقر؛ لأن الأنبياء كانوا فيها على شريعة موسى ، والمسيح فسره بمحمد. وهو أصدق.

وهذا هو النص على المرأة العاقر:

في الأصحاح الرابع والخمسين من سفر إشعياء: «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم أيتها التي لم تمخض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل. قال الرب. أوسعي مكان خيمتك ولتبُسط شُقق مساكنك. لا تمسكي. أطيلي أطنابك وشدّدي أوتادك. لأنك تمتدين إلى اليمين وإلى اليسار، ويرث نسلك أمما ويُعمر مدناً خربة. لا تخافي لأنك لا تخزين. ولا تخجلي لأنك لا تستحين. فإنك تنسين خزي صِبَاكِ وعار ترملكِ لا تذكرينهُ بعد. لأن بعلكِ هو صانعكِ رب الجنود اسمهُ ووليُّكِ قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعَى.

لأنهُ كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاكِ الربُّ وكزوجة الصبا إذا رُذلَت. قال

إلهك لُحيْظةَ تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبتُ وجهي عنكِ لحظةً وبإحسان أبديّ أرحمك. قال وليك الربُّ. لأنهُ كمياه نوح هذه لي كما حلفتُ أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفتُ أن لا أغضب عليكِ ولا أزجركِ. فإن الجبال تزول والآكام تتزعزع أما إحساني فلا يزول عنكِ، وعهد سلامي لا يتزعزع. قال راحمك الرب.

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية. هأنذا أبني بالإثمد حجارتكِ وبالياقوت الأزرق أؤسسكِ وأجعل شرُفكِ ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانيَّة، وكل تخومكِ حجارة كريمة وكل بنيكِ تلاميذ الربُّ وسلام بنيكِ كثيراً. بالبر تُثَّبتين، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منكِ. ها إنهم يجتمعون اجتماعاً ليس من عندي.

مَنْ اجتمع عليكِ فإليكِ يسقط. هأنذا قد خلقتُ الحدَّاد الذي ينفخ الفحم في النار، ويخرج آلةً لعمله، وإنا خلقتُ المُهلك ليخرب.

كل آلة صُوِّرت ضدكِ لا تنجح، وكل لسان يقوم عليكِ في القضاء تحكمين عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب، وبرُّهم من عندي. يقول الرب» [إشعياء ٥٤]

لغو بولُس في عهد هاجر رضي الله عنها:

ادعى بولس أن شريعة التوراة قد نسخها المسيح عيسى عليه السلام، وأن المسيح كلف بولس بالإبلاغ عن نسخها. وقال: إننا نحن المسيحيين صرنا أحرارا من العبودية للناموس. والذين يعملون به هم عبيد له؛ لأن الناموس يلزمهم بأعمال. واستدل على التحرر من الناموس بقوله: إنه كان لإبراهيم ولدان. أحداهما من الحرة سارة. وحرية سارة رمز للتحرر من الناموس. وهذا هو نص كلامه:

في الأصحاح الرابع من رسالته إلى أهل غلاطية:

«قولوا لي أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس: ألستم تسمعون الناموس؟ فإنهُ مكتوبٌ أنهُ كان لإبراهيم ابنان، واحدٌ من الجارية والآخر من الحرَّة. لكن الذي من الجارية وُلد حسب الجسد» وأما الذي من الحرَّة فبالموعد. وكل ذلك رمزٌ لأن هاتين هما العهدان أحدهما من جبل سيناء الوالد للعبودية الذي هو هاجر. لأن هاجر جبل سيناء في العربية. ولكنهُ يقابل أورشليم الحاضرة فإنها مستعبدة مع بنيها وأما أورشليم العليا

التي هي أمُّنا جميعاً فهي حرة. لأنه مكتوبٌ: «افرحي أيتها العاقر التي لم تلد اهتفي واصرخي أيتها التي لم تتمخَّض، فإن أولاد الموحشة أكثر من التي لها زوج»

وأما نحن أيها الإخوة فنظير أولاد إسحق أولاد الموعد. ولكن كما كان حينئذ الذي وُلِد حسب الجسد يضطهد الذي حسب الروح، هكذا الآن أيضاً. ولكن ماذا يقول الكتاب؟ «أطردُ الجارية وابنها لأنهُ لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرَّة» إذاً أيها الإخوة لسنا أولاد جارية بل أولاد الحرَّة» {غلاطية ٤: ٢١ +}

الرد عليه:

١ ـ إن إسماعيل هو ابن سارة بحسب شريعتهم في زمانهم. وهو ابن هاجر، وهو ابن إبراهيم؛ فلا يكون بحسب شريعتهم ابن جارية بل ابن حرة. ففي سفر التكوين: «وأما ساراي امرأة أبرام فلم تلد له. وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر. فقالت ساراي لأبرام: هوذا الرب قد أمسكني عن الولادة ادخل على جاريتي لعلّي أُرزق منها بنين» قوله: «لعليّ أرزق منها بنين» يدل على أن البنين يكونون أولادها ويرثون فيها.

٢ ـ قوله: إن الذي من الجارية ولد بغير موعد. هو قول باطل. لأن إسماعيل جاء بموعد «وقال لها ملاك الرب: ها أنت حبلى فتلدين ابنا، وتدعين اسمه إسماعيل؛ لأن الرب قد سمع لمذلتك، وإنه يكون إنسانا وحشيا يده على كل واحد، ويد كل واحد عليه. وأمام جميع إخوته يسكن» {تك ١٦: ١١ ـ ١٢}

٣ ـ قوله: «إن هاجر من جبل سيناء؛ هو قول باطل؛ لأن هاجر من جبل فاران. ذلك قوله: «وكان اللَّه مع الغلام؛ فكبر. وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس، وسكن في برية فاران. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» {تك ٢١: ٢٠ ـ ٢١}

٤ ـ قوله: إن نبوءة إشعياء «افرحي أيتها العاقر...» هي لنسل سارة هو قول باطل. وذلك لأن الملاك قال عن إسماعيل: «وإنه يكون إنسانا وحشيا» ولأنه من إسماعيل إلى محمد لم تكن شريعة في نسله من نبي منه.

٥ ـ قوله: إن ابن الجارية وهو إسماعيل لا يرثُ مع ابن الحرة وهو إسحق. هو قول باطل. وذلك لأن إسماعيل ابن لسارة بحسب الشريعة. وبحسبها هو وارث. وقد نصت التوراة على أن إسماعيل وارث في الثلاثة «لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل، وابن الجارية

أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» {تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣}

ثالثا: الميثاق مع إبراهيم:

حذف كاتب التوراة جدال إبراهيم مع أبيه في نبذ عبادة الأصنام. وقد ورد هذا الجدل في مخطوطات البحر الميت وفي إنجيل برنابا على هذا النحو:

في الأصحاح السادس والعشرين من إنجيل برنابا وما بعده:

«أجابَ بطرسُ: قُلْ لنَا يا مُعلمُ كيف يجبُ على الإنسان أن يُحب اللَّه محبةً خالصةً؟

فأجـاب يسوعُ: الحقَّ أقُولُ لكُمْ: إنَّ من لا يبـغض أبَاهُ وأُمَّهُ وحيـاته وأولاده وامرأتهُ لأجل محبة اللَّه فمثل هذا ليس أهلاً أن يحبهُ اللَّه. أجاب بطرس: يا مُعلمُ لقد كُتِبَ في ناموسِ اللَّه في كتاب موسى: «أكرم أباك لتعيش طويلاً على الأرضِ

ثم يقـول أيضاً: «ليكن مـلعونا الابن الذي لا يطيـع أباه وأمه ولذلك أمـر اللَّه بأن يرجم مثل هذا الابن العـقوق أمام باب المدينة وجوبا بغضب الشـعب. فكيف تأمرنا أن نبغض أبانا وأمنا؟ أجاب يسـوعُ: كلُّ كلمةٍ من كلماتي صادقـة لأنها ليست مني بل من اللَّه الذي أرسلني إلى بيت إسرائيل. لذلك أقول لكم: إن كل ما عندكم قد أنعم اللَّه به عليكم. فـأي الأمرين أعظم قـيمة؟ العَـطِيَّةُ أم الْمُعْـطِي؟ فمتي كـان أبوك أو أمك أو غيرهما عثرة لك في خدمة اللَّه فانبذهم كأنهم أعداء. ألم يقل اللَّهُ لإبراهيم: «اخرج من بيت أبيك وأهلك وتعـال اسكن في الأرض التي أُعطيها لك ولنـسلك»؟ ولماذا قال اللَّه ذلك؟ أليس لأن أبا إبراهيم كان صانع تماثيل يصنع ويعبـد آلهة كاذبة؟ لذلك بلغ العداء بينهما حدا أراد معه الأب أن يحرق ابنه.

أجـاب بطرس: إن كلماتك صـادقة. وإني أضـرع إليك أن تقص علينا كـيف سخـر إبراهيم من أبيه؟ أجاب يـسوع: كان إبراهيم ابن سبع سنين لما ابتدأ أن يـطلب اللَّه. فقال يوما لأبيه: يا أبتاه من صنع الإنسان؟ أجاب الوالد الغبي: الإنسان. لأني أنا صنعتك وأبي صنعني. فأجاب إبراهيم: يا أبي ليس الأمر كذلك. لأني سمعت شيخا ينتحب ويقول: يا إلهي لماذا لم تُعطيني أولاداً؟ أجاب أبوه: حـقا يا بُني اللَّه يساعد الإنسـان ليصنع إنساناً ولكنه لا يضع يده فيه. فلا يلزم الإنسان إلا أن يتقدم ويضرع إلى إلهه ويُقدم له حملانا وغنما ليساعده إلهُهُ.

أجاب إبراهيم: كم إلها هنالك يا أبي؟ أجاب الشيخ: لا عدد لهم يا بني. فحينئذ أجاب إبراهيم: ماذا أفعل يا أبي إذا خدمت إلهاً وأراد بي الآخر شرا لأني لا أخدمُهُ؟ ومهما يكن من الأمر فإنه يحصل بينهما شقاقٌ ويقعُ الخصامُ بين الآلهة. ولكن إذا قتل الإلهُ الذي يريدُ بي شراً، إلهي فماذا أفعل؟ من المؤكد أنه يقتلني أنا أيضاً؟ فأجاب الشيخ ضاحكاً: لا تخف يا بُني لأنه لا يخاصم إلهٌ إلهاً. كلا فإن في الهيكل الكبير أُلوفاً من الآلهة مع الإله الكبير بعل. وقد بلغت الآن سبعين سنةً من العُمر ومع ذلك فإني لم أرَ قط إلهاً ضرب إلهاً آخر. ومن المؤكد أن الناس كلهم لا يعبدون إلها واحداً بل يعبد واحد إلها وآخر آخر.

أجاب إبراهيم: فإذاً يُوجد وفاقٌ بينهم؟ أجاب أبوه: نعم يُوجد. فقال حينئذ إبراهيم: يا أبي أيُّ شيء تُشْبِهُ الآلهة؟ أجاب الشيخ: يا غبيُّ إني كل يوم أصنعُ إلهاً أبيعُهُ لآخرين لأشتري به خُبزاً وأنت لا تعلم كيف تكون الآلهة؟ وكان في تلك الدقيقة يصنع تمثالاً فقال: هذا من خشب النخل وذاك من الزيتون وذلك التمثالُ الصغيرُ من العاج. انْظر ما أجمله. ألا يظهر كأنه حيٌّ. حقاً لا يُعوزهُ إلا النفس. أجاب إبراهيم: إذاً يا أبي ليس للآلهة أنفسٌ فكيف يهبون الأنفاس؟ ولما لم تكن لهم حياةٌ فكيفَ يُعطون إذاً الحياةَ؟ فمن المؤكد يا أبي أن هؤلاء ليسوا همُ الله. فحنق الشيخ لهذا الكلام قائلا: لو كُنتَ بالغاً من العمر ما تتمكن معه من الإدراك لشججت رأسك بهذه الفأس. ولكن اصمت إذ ليس لك إدراكٌ. أجاب إبراهيم: يا أبي إن كانت الآلهةُ تساعدُ على صنع الإنسان فكيف يتأتّى للإنسان أن يصنع آلهةً؟ وإذا كانت الآلهة مصنوعةً من خشب فإن إحراق الخشب خطيئةٌ كبرى. ولكن قل لي يا أبتِ: كيف وأنت قد صنعت آلهةً هذا عددها لم لَمْ تُساعدكَ الآلهةُ لتصنع أولاداً كثيرين فتصير أقوى رجلٍ في العالم؟

فحنق الأبُ لما سمعَ ابنهُ يتكلمُ هكذا. فأكملَ الابنُ قائلاً: يا أبتِ هل وُجدَ العالمُ حيناً من الدهرِ بُدون بشرٍ؟ أجاب الشيخ: نعم ولماذا؟ قال إبراهيم: لأني أحبُّ أن أعرفَ من صنعَ الإلهَ الأوّل. فقال الشيخ: انصرف الآن من بيتي ودعني أصنعُ هذا الإلهَ سريعاً ولا تُكلمني كلاماً. فمتى كُنتَ جائعا فإنك تشتهي خبزاً لا كلاماً. فقال إبراهيم: إنهُ لإلهٌ عظيمٌ. فإنك تُقطعهُ كما تريد وهو لا يُدافع عن نفسه. فغضب الشيخُ وقالَ: إنَّ

العالمَ بأسره يقولُ: إنَّهُ إلهٌ وأنتَ أيُها الغُلامُ الغـبيُّ تقولُ: كلاَّ؟ فوآلهتي لو كنت رجُلاً لقتلتُك. ولما قال هذا ضربَ إبراهيمَ ورفَسهُ وطردَهُ من البيت.

فضـحك التلاميـذُ من حُمقِ الشيـخِ ووقفوا مُنذهلين من فطنة إبراهـيمَ ولكنَّ يسوعَ وبَّخَهُـمْ قائلاً: لقـد نسيتـمْ كلامَ النبيِّ القـائلِ: «الضحكُ العـاجلُ نذيرُ البكاء الآجلِ» وأيضاً: «لا تذهبْ إلى حيثُ الضحك بل اجلس حيثُ يَنُوحُونَ لأنَّ هذه الحياة تنقضي في الشقـاء» ثم قال يسوعُ: ألا تعلمـونَ أن اللَّه في زمن موسى مـسخَ ناساً كثـيرين في مصر حيوانات مخوفةً لأنهم ضحكوا واستهزءوا بالآخرين. احذروا من أن تضحكوا من أحد مـا لأنكم بُكاءً تبكون بسببه. أجـاب التلاميـذ: إننا ضحكنا من حماقـة الشيخ. فأجاب حـينئذٍ يسوعُ: الحقَّ أقولُ لكم: كلُّ نظيـرٍ يحبُّ نظيره؛ فيجـد في ذلك مسرةً. ولذلك لو لم تكونوا أغبـياء لما ضحكتم من الغبـاوة أجابوا: ليرحمنا اللَّـه. قال يسوعُ: ليكن كذلك.

حينئذ قـال فيلبّس: يا معلم كيف حدث أن أبا إبـراهيم أحب أن يحرق ابنهُ؟ أجاب يسوعُ: لما بـلغ إبراهيم اثنتي عشـرة سنةً من العمر قـال لهُ أبوهُ يوماً مـا: غداً عـيدُ كل الآلهـة. فلذلك سنذهب إلى الهـيكل الكبـير ونـحمل هديةً لإلهـي بعل العظيم وأنت تنتخبُ لنفسك إلهاً لأنك بلغت سناً يحقُّ لك معهُ اتخاذُ إله. فأجاب إبراهيم بمكرٍ: سمعاً وطاعةً يا أبي. فبكرا في الصـباح إلى الهيكل قبل كلُّ أحـد. ولكن إبراهيم كان يحملُ تحت صدْرتهِ فأساً مستورة. فلما دخلا الهيكل وازداد الجمعُ خبأ إبراهيم نفسهُ وراء صنمٍ في ناحيةٍ مظلمةٍ في الهيكل. فلما انـصرف أبوهُ ظنَّ أن إبراهيم سبقهُ إلى البيت ولذلك لم يمكثْ ليُفتشَ عنه.

ولما انصرف كلُّ أحـدٍ من الهيكل أقفل الكهنة الهـيكل وانصرفوا. فـأخذَ إبراهيمُ إذ ذاك الفـأس وقطع قوائم جـميع الأصنام إلاَّ الإلهَ الكبـير بعـلاً. فإنهُ وضعَ الفـأس عند قوائمه بين جُذاذ التماثيل التي تساقطت قطعاً لأنها كانت قديمة العهد ومؤلفة من أجزاء. ولما كان إبراهيم خارجاً من الهيكل رآه جماعةٌ من الناس فظنوا أنهُ دخلَ ليسرقَ شيئاً منَ الهيكـل فأمسكوه. ولما بلـغوا به الهيكل ورأوا آلـهتهم مـحطمة قطعـا قطعا؛ صـرخوا منتحبين: أسرعوا يا قوم ولنقتل الذي قتل آلهتنا؛ فهرعَ إلى هناك نحو عشرة آلاف رجلٍ

مع الكهنة وسألوا إبراهيم عن السبب الذي لأجله حطمَ آلهتهمْ. أجاب إبراهيم: إنكم لأغبياء أيقتلُ الإنسان اللّه إن الذي قتلها إنما هو الإلهُ الكبيرُ. ألا ترونَ الفأس التي لهُ عندَ قدميه. إنه لايبتغي له أنداداً. فوصلَ حينئذ أبوُ إبراهيم الذي ذكرَ أحاديث إبراهيمَ في آلهتهم وعرفَ الفأس التي حطَّم بها إبراهيمُ الأصنام فصرخَ: إنما قتلَ آلهتنا ابني الخائنُ هذا؛ لأن هذه الفأس فأسي وقص عليهم كل ما جرى بينهُ وبين ابنهِ فجمعَ القومُ مقدارا كبيراً من الحطبِ وربطوا يدي إبراهيم ورجليهِ ووضعوهُ على الحطبِ ووضعُوا ناراً تحتهُ. فإذا اللّه قد أمرَ النار بواسطة ملاكه جبريل أن لا تحرق عبدهُ إبراهيم. فاضطرمت النارُ باحتدام وحرقت نحو ألفي رجلٍ من الذين حكموا على إبراهيم بالموت. أما إبراهيم فقد وجدَ نفسهُ مطلقَ السراح إذ حملهُ ملاك اللّه إلى مقربةٍ من بيت أبيه دون أن يرى من حملهُ. وهكذا نَجَا إبراهيمُ من الموتِ» [برنابا ٢٦ +]

البيان:

الذي يهمنا بيانه هاهنا هو قول اللّه له: «انهض لأني قد اصطفيتك عبدا لي، وإني أريد أن أباركك، وأجعلك شعبا عظيما»

وهذا القول مذكور في التوراة هكذا: «وقال الرب لأبرام: اذهب من أرضك، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك؛ فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك، وأعظم اسمك، وتكون بركة. وأباركك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض» [تك ١٢: ١ ـ ٣]

واصطفاء اللّه لإبراهيم من بين الأمم الوثنية لنبذ عبادة الأوثان. لن يكون لعشيرة واحدة من عشائر الأرض، بل لجميع عشائر الأرض، ولن يكون في زمانه وإنما سيكون إلى يوم القيامة. ومعنى هذا: أن الوثنيين سيبادون، وأن عباد اللّه هم الذين سيبقون، كما أبيد الوثنيون، وبقي المؤمنون في زمان نوح عليه السلام ولكن ليس بطوفان الماء، وإنما بحرب بعضهم لبعض، وكما انتقل ميثاق آدم إلى المؤمنين الناجين في السفينة، سينتقل إلى المؤمنين السائرين مع إبراهيم عليه السلام وقد اشترط اللّه تعالى على إبراهيم:

أ ـ أن يسير أمامه لدعوة الناس إلى دينه.

ب ـ وفي مقابل السير يكون أجر عظيم جدا.

وهذا هو الميثاق الذي أخذه الله على إبراهيم.

فما هو تفسير الأجر؟

ومن نصوص التوراة في الميثاق: ١ ـ «لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجرك كثير جدا» {تك ١٥: ١} وعلى إثر هذا الوعد؛ أنجبت هاجر إسماعيل عليه السلام.

٢ ـ «أنا اللّه القدير سر أمامي، وكن كاملا؛ فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيرا جدا» {تك١٧: ١ ـ ٢} ومعناه: انتقال ميثاق آدم ونوح إلى إبراهيم.

٣ ـ وبين أن الميثاق سيكون من بعده في نسله: «وأقيم عهدي بيني وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا» {تك ١٧: ٧} والمراد بالنسل: بنو إسماعيل؛ لأنه لم يكن له ولد في ذلك الوقت ـ وقت أخذ العهد على النسل ـ إلا إسماعيل عليه السلام.

٤ ـ وبين أن العهد للجهاد في سبيل الله، وتطهير الكعبة من الأصنام بالحرب بقوله: «هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك؛ يختن منكم كل ذكر، فتختنون في لحم غرلتكم، فيكون علامة عهد بيني وبينكم» {تك ١٧: ١٠}

ومعنى الكلام: أنه إذا حدثت حروب بين نسل إبراهيم المؤمنين وبين الوثنيين؛ فإنه لا يتميز المقتول في أرض المعركة إلا بقطع الغرلة، فلذلك صار الختان علامة على الجهاد في سبيل الله. فإذا قيل: شعب مختون. فإن المراد به: شعب مجاهد في سبيل الله.

٥ ـ وبعدما أتم العهد مع إبراهيم، وجعله خاصا في نسل إسماعيل؛ بشّره بولد آخر يخرج منه نبي يمهد الطريق للنبي الآتي من إسماعيل، وقال عن سارة: «وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا، أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون» {تك ١١: ١٦}

٦ ـ وقال عن إسماعيل: «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه» {تك ١٧: ٢٠}.

٧ ـ ثم إن الكاتب أخذ العهد الخاص في إسماعيل، العهد المنتقل من آدم إلى نوح إلى إبراهيم إلى إسماعيل أن إذا ظهر محمد فإنه سيكون رحمة للعالمين، ووضعه على إسحق من قبل ولادة إسحق، وهو بذلك يكون قد ظلم بني إسماعيل. ولذلك قال اللّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ وفي هذا المعنى يقول المسيح عيسى عليه السلام: « كلٌّ من يعملُ فإنما يعملُ لغايةٍ يجدُ فيها غناءً. لذلك أقولُ لكمْ: إنَّ اللّه

لما كانَ بالحقيقة كاملاً لمْ يكنْ لهُ حاجةٌ إلى غناء لأن الغناءَ عندهُ نفسُهُ. وهكذا لما أرادَ أنْ يعـملَ خلقَ قبلَ كلِّ شيء نفسَ رسُوله الذي لأجله قـصدَ إلى خَلْقِ الْكُلِّ. لكي تجـدَ الخلائقُ فرحـاً وبركةً بالله. ويسرُّ رسولُهُ بـكلِّ خلائقه التي قدَّر أنْ تكُونَ عـبيداً. ولماذا؟ وهل كان هذا هكذا إلاَّ لأن اللَّه أراد ذلـك؟ الحقَّ أقولُ لكم: إنَّ كُلَّ نبيٍّ متى جـاء فإنهُ إنما يحملُ لأمةٍ واحدةٍ فقطْ علامةَ رحـمة الله. ولذلك لم يتجاوز كلامهمُ الشعبَ الذي أُرسلوا إليه. ولَـكنَّ رسُولَ الله متى جـاء يُعطيه اللهُ مـا هُوَ بمثَابَة خـاتَم يده. فيـحملُ خلاصـاً ورحمةً لأُمم الأرضِ الذينَ يقـبلُونَ تعليمهُ. وسـيأتي بقوة على الظالمين. ويُبـيدُ عبـادة الأصنام بحـيثُ يُخزي الشـيطان. لأنهُ هكذا وعـدَ اللهُ إبراهيم قائلاً: انظُر فـإني بنسلك أُباركُ كُلَّ قبائلِ الأرض وكـما حطَّمتَ يا إبراهيمُ الأصنام تحطيماً هكذا سـيفعلُ نسلكَ. أجاب يعقوبُ: يا مُعَلِّمُ قُلْ لنا بمن صُنعَ هذا العهـدُ؟ فإن اليهودَ يقولُونَ بإسحقَ والإسماعليونَ يقولُون بإسماعيل. أجاب يسوعُ: ابنُ من كان داودُ؟ ومن أيِّ ذُرية؟ أجاب يعقـوبُ: من إسحق لأن إسـحق كان أبا يـعقوب ويعـقوب كـان أبا يهوذا الذي من ذريـته داود. فحينئـذ قال يسوع: ومتى جـاء رسولُ اللَّه فمن نسلِ من يكون؟ أجاب التـلاميذُ: من داودَ. فأجاب يسوعُ: لا تغُشُّوا أنفسكُمْ. لأن داودَ يدعوهُ في الرُّوح ربا قائلاً هكذا: «قال اللَّه لربي: اجلس عن يميني حـتى أجعل أعـداءكَ موطئـاً لقدميـك. يرسلُ الربُّ قضيـبكَ الذي سيكونُ ذا سُلطانٍ في وسط أعدائكَ» فإذا كان رسولُ اللَّه الذي تُسَمُّونهُ مَسيًّا ابن داود فكيف يسميه داودُ رباً؟ صدِّقوني لأني أقولُ لكم الحقَّ: إن العهد صُنعَ بإسماعيل لا بإسحق.

حينئذ قال التـلاميذ: يا معلم هكذا كُتبَ في كتاب مـوسى: أن العهد صنع بإسحق. أجاب يسـوع متأوهاً: هذا هو المكتـوب. ولكن موسى لم يكتـبهُ ولا يشوع. بل أحـبارنا الذين لا يخافـون الله. الحق أقول لكم: إنكم إذا أعـملتُمُ النظر في كلام الملاك جـبريل تعلمون خبث كتـبتنا وفقهائنا. لأن الملاك قال: يا إبراهيم سيـعلم العالمُ كلُّهُ كيف يُحبُّكَ الله. ولكن كيف يعلم العالمُ محـبتك لله. حقا يجبُ عليك أن تفعل شيئـاً لأجلِ محبَّة الله. أجاب إبراهيم: ها هو ذا عبدُ الله مُستعدٌ أن يفعلَ كل ما يريدُ اللهُ. فكلَّمَ اللهُ حينئذ إبراهيم قائلاً: خُذ ابنكَ بكرك إسماعيل واصعد الجبل لتُقدمَهُ ذبيحةً. فكيف يكونُ إسحقُ البكرَ وهو لما ولد كان إسماعيلُ ابن سبع سنين؟ فقال حـينئذ التلاميذُ: إن خداعَ الفقهاء لجليٌّ. لذلك قل لنا أنت الحق لأننا نعلـمُ أنك مرسلٌ من اللَّه. فأجـاب حينئـذ يسوعُ:

أقولُ لكمْ: إن الشـيطانَ يحاولُ دائمـاً إبطال شريعـةَ الله. فلذلك قد نجَّس هُوَ وأتبـاعُهُ والْمُراءُونَ وصـانعُو الشرِّ كـل شيءِ اليوم. الأولونِ بالتعليـم الكاذب والآخرون بمعيـشة الخلاعـة. حتى لا يكادُ يُوجدُ الحقُّ تقريبـاً. ويلٌ للْمُرائين لأن مدحَ هذا العـالمِ سينقلبُ عليهم إدانةً وعذاباً في الجـحيم. لذلك أقولُ لكم: إن رسولَ اللّه بهـاءٌ يسرُّ كل ما صنع اللّه تقريباً. لأنهُ مُزدَانٌ بُروحِ الفهمِ والمشُورةِ. روح الحكمة والقُوةِ. روحِ الخوفِ والْمَحَبَّةِ. روح التبصرُّ والاعتدال. مزدانٌ بروحِ المحـبة والرحمة. روح العدلِ والتقوى. روح اللُّطْفِ والصبر التي أخذ منها من اللّه ثلاثة أضعاف ما أعطى لسائرِ خلقه. ما أسعدَ الزَّمَنَ الذي سيأتي فيه إلى العالم. صدقـوني أني رأيتُهُ وقدمتُ لهُ الاحترامَ كمَا رآهُ كُلُّ نبيٌّ. لأنَّ اللّه يُعطيهم روحهُ نُبُـوةً. ولما رأيتهُ امتلأتُ عزاءً قـائلاً: يا محمد ليكن اللّه مـعك وليجعلني أهلاً أن أحُلَّ سيرَ حـذائكَ؛ أني إذا قلتُ هذا صرتُ نبياً عظيمـاً وقدوس اللهِ. ولما قال يسوع هذا شكر الله» {برنابا ٤٣ +}

رابعا: الميثاق مع محمد ﷺ

فـي كـتـاب الـتـوراة:

لما خـرج موسى وبنو إسـرائيل إلى صحـراء سيناء، ونزلت علـيه التـوراة؛ أمره أن يصعـد هو وبنو إسرائيل إلى أرض فلسطين فاتحين. فلمـا سمع بنو إسرائيل هذا الخـبر؛ استـاءوا جداً، ولم يلبس أحـد منهم زينته. فقـال موسى لله: أنت قلت لي: أصـعدهم لمحاربة أهل فلسطين. فـسر معي واهدني. فقال الـله له: سأسير معكم وسـأنصركم على أعدائكم إن كنتم معي. فقال موسى لله: **«أرني مـجدك»** وإذ طلب رؤية المجد. فما هو هذا المجد الذي طلب رؤيته؟ أجاب عيسى عليـه السلام بأنه مجد محمد ﷺ وإجابـته صحيحـة وذلك لأن دانيال النبي في الأصحاح السابع من سفـره؛ أنبأ عن أربعة ممالك تنشـأ على أرض فلسطين ثم تقوم مملكة خـاصة هي «مملكة ابـن الإنسان» التي سـماها دانيال بملكوت السـموات. وهذه الممالك هي: بابل وفارس واليـونان والرومان، ومملكة محمد ﷺ الذي قال عنه دانيال: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان؛ أتى وجاء إلى القديم الأيام؛ فقربوه قـدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطان سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته مالا ينقرض» {دا ٧: ١٣ ـ ١٤}

فهذا النبي الآتي قد أوتي من الله «مجدا» وموسى يقول لله: «أرني مجدك» وقد أراه الله المجد كما هو مُصوّر في علمه من قبل خلق الخلائق. ففي الأصحاح التسعين بعد المائة وما بعده من إنجيل برنابا: «قل لي أيها الأخ وأنت الفقيه المتضلع من الشريعة: بأي ضُرب موعدُ مَسيّا لأبينا إبراهيم؟ أبإسحق أم بإسماعيل؟ أجاب الكاتب: يا معلم أخشى أن أخبرك عن هذا بسبب عقاب الموت. حينئذ قال يسوع: إني آسفٌ أيها الأخ أني أتيت لآكل خبزاً في بيتك لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ولكن لا تخشى أن تخسر الإيمان والحياة الأبدية التي تضيع متى تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله. حينئذ بكى الكاتب الصالح وقال: يا معلم لو عرفت كيف أثمر لكنت قد بشرت مراراً كثيرةً بما أعرضت عن ذكره لئلا يحصل شغبٌ في الشعب. أجاب يسوع: يجب عليك أن لا تحترم الشعب ولا العالم كله ولا الأطهار كلهم ولا الملائكة كلهم إذا أغضبوا الله. فخيرٌ أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك. ولا تحفظه في الخطيئة. لأن الخطيئة تُهلِكُ ولا تحفظُ. أما الله فقديرٌ على خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر.

حينئذ قال الكاتب: عفواً يا معلم لأني قد أخطأت. قال يسوع: الله يغفر لك لأنك إليه قد أخطأت. فقال من ثم الكاتب: لقد رأيت كتيباً قديماً مكتوباً بيد موسى ويشوع الذي أوقف الشمس كما قد فعلت خادمي ونبيي الله. وهو كتاب موسى الحقيقي. ففيه مكتوبٌ: أن إسماعيل هو أبٌ لمسيا وإسحق أبٌ لرسول مَسيّا. وهكذا يقول الكتاب: إن موسى قال: أيها الربُّ إلهُ إسرائيل القديرُ الرحيمُ «اظهر لعبدك في سناء مجدك»[1] فأراه الله من ثم رسوله على ذراعي إسماعيل وإسماعيل على ذراعي إبراهيم. ووقف على مقربةٍ من إسماعيل إسحق وكان على ذراعيه طفلٌ يشير بأصبعه إلى رسول الله قائلاً: هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شيء. فصرخ من ثم موسى بفرح: يا إسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة. اذكرني أنا عبد الله لأجد نعمةً في نظر الله بسبب ابنك الذي لأجله صنع الله كل شيء» {برنابا ١٩٠ ـ ١٩١}

---

(١) ترجمتها: «أرني مجدك» ويقول اليهود: إنه يعني بالمجد: واضع نواة التلمود وهو الربي يهوذا هناسي، ويقول المسيح: إنه يعني بالمجد: محمدا رسول الله.

البيان:

١ ـ محمد هو المَسِيّا. وهو ابن إسماعيل.

٢ ـ موسى رسول يمهد الطريق للمسيا. وهو ابن إسحق.

٣ ـ الطفل الذي كان على ذراعي إسحق هو موسى.

٤ ـ وقد أشار بأصبعه إلى رسول الله محمد.

٥ ـ فلما رأى موسى مجد الله؛ صرخ بفرح.

نص التوراة عن مجد محمد ﷺ:

في الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر الخروج: «وقال الرب لموسى: اذهب اصعد من هنا أنت والشعب الذي أصعدتهُ من أرض مصر إلى الأرض التي حلفت لإبراهيم وإسحق ويعقوب قائلا: لنسلك أعطيها. وأنا أرسل أمامك ملاكا وأطرد الكنعانيين والأموريين والحيثيين والفرزّيين والحوّيين واليبوسيين إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً؛ فإني لا أصعد في وسطك لأنك شعبٌ صلب الرقبة لئلا أفنيك في الطريق.

فلما سمع الشعب هذا الكلام السوء؛ ناحوا ولم يضع أحد زينته عليه. وكان الرب قد قال لموسى: قل لبني إسرائيل: أنتم شعبٌ صلب الرقبة. إن صعدتُ لحظة واحدةً في وسطكم؛ أفنيتكم. ولكن الآن اخلع زينتك عنك، فأعلم ماذا أصنع بك؟ فنزع بنو إسرائيل زينتهم من جبل حوريب.

وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيداً عن المحلة، ودعاها خيمة الاجتماع فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع التي خارج المحلة. وكان جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحدٍ في باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الرب مع موسى فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفاً عند باب الخيمة.

ويقوم كل الشعب ويسجدون كل واحدٍ في باب خيمته. ويكلم الرب موسى وجها لوجه، كما يكلم الرجل صاحبهُ. وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمهُ يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة.

وقال موسى للرب: انظر. أنت قائلٌ لي: أصعد هذا الشعب. وأنت لم تعرفني من ترسل معي؟ وأنت قد قلت عرفتك باسمك. ووجدت أيضاً نعمةً في عيني. فالآن إن كنت وجدت نعمةً في عينيك؛ فعلمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمةً في عينيك. وانظر أن هذه الأمة شعبك. فقال: وجهي يسير فأريحك. فقال له: إن لم يسر وجهك فلا تُصعدنا من ههنا. فإنه بماذا يعلم أني وجدت نعمةً في عينيك أنا وشعبك؟ أليس بمسيرك معنا؟ فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذي تكلمت عنهُ؛ أفعلهُ؛ لأنك وجدت نعمةً في عيني وعرفتك باسمك.

فقال: أرني مجدك. فقال: أجيز كل جودتي قدامك. وأنادي باسم الرب قدامك **وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم.** وقال: لا تقدر أن ترى وجهي[1] لأن الإنسان لا يراني ويعيش. وقال الرب: هوذا عندي مكانٌ. فتقف على الصخرة. ويكون متى أجتاز مجدي أني أضعك في نُقرة. من الصخرة، وأسترك بيدي حتى أجتازه. ثم أرفع يدي فتنظر ورائي وأما وجهي فلا يُرى» [خروج ٣٣]

البيان:

١ ـ بعدما قال موسى لله: «أرني مجدك» قال له: سأعرض كل جلالي أمامك، وأنادي باسمي أنا الرب على مسمعك، وإذا خطر في بالك أن تسألني لماذا اخترت محمدا والاسماعيليين، فإني أقول لك: إني أرحم من أرحم، وأتراءف على من أتراءف، وأقول لك: إنه لا أحد يقدر على رؤية وجهي، وإنما يقدر على رؤية نعمي؛ لأن الذي يراني: لا يعيش»

٢ ـ وقد كتب بُولُس في رسالته إلى أهل رومية: أن المجد الآتي لعيسى عليه السلام

---

(١) إذا كان الله لا يُرى من هيبته بنص التوراة، فكيف يقول المسيحيون: إن عيسى هو الله، أو هو إله مع الله، وقد ظهر في صورة إنسان؟ إن نفي الرؤية يستلزم نفي ألوهية المسيح، ولكنهم خالفوا النص، وقالوا بالرؤية، ولما ظهر محمد ﷺ ونفى الرؤية؛ اندسّ المسيحيون بين المسلمين، وعلّموهم كيف يتحايلون على إثباتها، وتحايلهم باطل؛ فإن قوله تعالى: ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ نص صريح في نفي الرؤية، وهو نص لا يحتمل التأويل. وقوله ﴿**وهو معكم**﴾ ينفي الرؤية؛ لأنه إذا رؤي في مكان؛ سيخلو منه مكان. والحال: أنه في السماء وفي الأرض

وليس لمحمد ﷺ وأطال النفس في هذا الموضوع، وهو غافل عن تصريح عيسى نفسه بأنه ليس هو صاحب المجد ففي إنجيل يوحنا: «مجدا من الناس لست أقبل» {يو٥ : ٤١}

وفي جميع الأناجيل أن المجد لابن الإنسان الذي سيظهر ليزيل المملكة الرابعة وهي مملكة الروم، والمسيح قد نسب المجد إلى ابن الإنسان هذا وعيسى لم يظهر لإزالة الروم؛ فإنه قد ولد في بدء احتلال الروم لفلسطين، ومما في الأناجيل: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسي مجده. . .» {متى ٢٥ : ٣١} وقال المسيح لله: «أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء: مجدت وأمجد أيضا» {يو ١٢ : ٢٨} والمجد السابق واللاحق هو لابن الإنسان الذي يبشّر به، وهو الذي يدين العالم على خطاياهم ويعاقبهم بالسيف، ويملك على بلادهم. ذلك قول المسيح: «فنادى يسوع وقال. الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحدٌ كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأني لم آتِ لأدين العالم بل لأخلّص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي فلهُ من يدينهُ. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير [1]. لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول؟ وبماذا أتكلم؟ وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم» {يوحنا ١٢ : ٤٤ ـ ٥٠}

لاحظ:

١ ـ «فله من يدينه» لأنه ليس صاحب المجد.

٢ ـ الذي يدين هو النبي الآتي في اليوم الأخير لملك بني إسرائيل وشريعتهم، وهو اليوم الأول لملك بني إسماعيل وشريعتهم.

(١) المبعوث في آخر الزمان:

ورد في كتب السيرة النبوية، والأحاديث النبوية الإسلامية: أن محمدا ﷺ هو النبي المبعوث في آخر الزمان، وأنه هو المبعوث بين يدي الساعة، ويعتقد المسلمون إلى هذا اليوم: أن آخر الزمان هو آخر أيام الحياة الدنيا وأن الساعة هي يوم القيامة، والحق في هذين الأمرين: هو أن مدة شريعة التوراة على الأرض؛ تسمى «دهرا» وتسمى «زمانا» وتسمى «عَالَما» ويعقب دهرها أو زمانها أو عالمها؛ دهر آخر هو دهر شريعة القرآن، فهما نبيان وشريعتان، لكل نبي شريعة لها مدة، ولكل=

٣ - كلام المسيح المدون في الأناجيل عن هذا النبي؛ ينجي من يتبعه، ويهلك من لا يتبعه.

٤ - إنه مرسل من الله ليتكلم عن هذا النبي.

التحريف في المجد:

في آخر كلام المسيح في إنجيل يوحنا، مكتوب على لسان المسيح: أنه قال لله عن الحواريين: «وأنا قد أعطيتهم المجد الذي أعطيتني ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد، أنا فيهم وأنت في ليكونوا مكمّلين إلى واحد وليعلم العالم أنك أرسلتني وأحببتهم كما أحببتني. أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي حيث أكون أنا لينظروا

= شريعة ملك يمكن لها في البلاد، ومدة شريعة محمد ﷺ هي ﴿الآخرة﴾ ومدة شريعة موسى عليه السلام هي ﴿الأولى﴾ وقد قسم الله بركة إبراهيم في الأمم على إسحق وإسماعيل، كما قال الله تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحق﴾ والبركة: ملك ونبوة. وقد قال الله عن ملك اليهود على العالم بشريعة التوراة: ﴿وآتينا موسى سلطانًا مبينًا﴾ أي ملكًا. وقال الله عن ملك بني إسماعيل على العالم بشريعة القرآن: ﴿وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانًا مبينًا﴾ وهاتان الآيتان في سورة واحدة هي سورة النساء.

وفي كتاب التوراة: أن تعبير «آخر الأيام» هو تعبير يُراد به: آخر أيام عصر شريعة موسى، وبدء أيام النبي الأمي الآتي على مثاله المكتوب: عنه «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون»

وعلى ذلك، فمعنى «المبعوث في آخر الزمان» هو آخر أيام بركة إسحق عليه السلام وبدء أيام بركة إسماعيل عليه السلام من محمد ﷺ.

وأما الساعة: فإنها ليست يوم القيامة، وإنما هي ساعة هلاك اليهود الكافرين بمحمد ﷺ في فلسطين في بدء ظهوره، وذلك لأن من أوصافه في التوراة: أنه يبيد الكافرين به من اليهود ذلك قوله: «فإن موسى قال للآباء: إن نبيا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به، ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب»

وفي إنجيل متى ومرقس ولوقا: أن الحواريين سألوا المسيح عن زمان هدم هيكل سليمان ومجيء النبي المنتظر، فقال لهم: ستحدث علامات في الكون من قبل مجيئه، وإذا جاء سيشن حربا على اليهود؛ ليأخذ منهم أرض فلسطين، وينشر فيها دينه، فسألوه عن يوم هذه الحرب، وعن ساعتها، فقال لهم: «أما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعرفهما أحد. لا ملائكة السموات، ولا الابن، إلا الآب وحده».

وقد بينا هذا في غير هذا الكتاب.

مجدي [1] الذي أعطيتني لأنك أحببتني قبل إنشاء العالم. أيها الآب البارُ إنَّ العالم لم يعرفك. أما أنا فعـرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرَّفتهم اسـمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحبُّ الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم» [يوحنا ١٧ : ٢٢ +]

البيان:

إنه يقول عـلى لسانه: «لينظروا مـجدي الذي أعطيـتني؛ لأنك أحبـبتني قبـل إنشاء العالم»

لاحظ: «قبل إنشاء العـالم» ومعناه: أن الميثاق مأخـوذ على واحد من قبل خلق آدم، فهل هذا الميثاق ليسـوع الذي يُدعى المسيح؟ إن لم يكن هو فإن المجد لا يكون له، ولو كان هو؛ لكان لا نبي من بعده، وفي الأناجيل أنه كان يبشر بنبي يأتي من بعده، وكان يقول مع يوحنا المعمـدان لبني إسرائيل: «توبوا لأنه قد اقتـرب ملكوت السموات» الذي أنبأ عن تأسيسه دانيال بعد مملكة الروم، وعلى هذا يكون بولس كاذبا في قوله: «فإن كنا أولادا؛ فإننا ورثة أيضا ووارثين مع المسيح، إن كنا نتألم معـه؛ لكي نتمجد أيضا معه» [رو٨: ١٧]

والكلمة صار جسدا:

ومعناها: أنه اقترب زمان هذا النبي. والـكلمة عنه ستصير حقيقة في حـالة مبعثه: إنسانًا وهذا هو البيان:

في بدء إنجيل يوحنا: أن آدم واسم محمد ـ عليهما السلام ـ كانا في البدء، قبل إنشاء العالم، وأن ما كان مُتصوَّرا، ومُخبرا عنه من قبل إنشاء العالم؛ صار حقيقة على أرض الواقع، فإن النبي الذي كان متصورا ومخبرا عنه؛ صـار جسدا، أي اقترب زمان مبعثه. وكاتب الإنجيل لـم يذكر اسمه وإنما ذكر لقـبا من ألقابه وهو «الكلمة» وقـال: «والكلمة صار جسدا» وقال مفسرو الإنجـيل: إن «الكلمة» هي «المَسِيّا المنتظر» لقوله: «في البدء كان الكلمة» ولم يقل كـانت الكلمة، وقـالوا: إن المسيا «كـان النور الحقيـقي الذي ينير كل إنســان» وأن هذا النور كان «آتيـا إلى العالم» وأن هذا النبي «كـان في العالم» من قـبل

(١) من المحتمل أنه يقصـد بمجدي: مجد محمد ﷺ لأنه نائب عنه في عـصره، ويدعو إليه فكأنه هو. وإن لم يصح هذا الاحتمال، فإنه نفى عن نفسه المجد، وأثبته لغيره.

إنشاء العالم «وكوّن العالم به، ولم يعرفه العالم» فهل عيسى عليه السلام هو «المسيا» الآتي إلى العالم؟ قال كثيرون من أهل الإنجيل: إن عيسى أعلن أن المسيا سيأتي من بعده، وفي الإنجيل إعلان منه شخصيا أنه يبشر بملكوت المسيا.

فقول الكاتب: «والكلمة صار جسدا» هو قول يُدلّ به على أن المسيا هو عيسى وقد بعث وصار جسدا بعدما كان في البدء متصورا ومخبرا عنه، وقوله «ورأينا مجده» ينقض قوله أن المسيا الذي صار جسدا، هو عيسى؛ لأن المجد ليس لعيسى عليه السلام وإنما هو لمحمد ﷺ ثم قال: إن يوحنا المعمدان ـ وهو النبي يحيى عليه السلام ـ قال إنه سيأتي من بعده وقوله هذا صحيح؛ لأن محمدا قد أتى من بعده، ولكن المحرفين قد كتبوا: أن المعمدان يعني بالآتي من بعده؛ المسيح عيسى بن مريم. وقولهم باطل؛ لأن المسيح قد دعا بما دعا به يوحنا فقال: «توبوا؛ لأنه قد اقترب ملكوت السموات» وقال: إن الآتي من بعدي هو المسيا المنتظر.

ففي الأصحاح الثاني والأربعين من إنجيل برنابا: «فإن رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه. لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه. قائلين: من أنت؟ فاعترف يسوع وقال: الحق أني لست مسيا. فقالوا: أأنت إيليا أو إرميا أو أحد الأنبياء القدماء؟ أجاب يسوع: كلا. حينئذ قالوا: من أنت. قل لنشهد للذين أرسلونا؟ فقال حينئذ يسوع: أنا صوت صارخ في اليهودية كلها. يصرخ: أعدوا طريق رسول الرب كما هو مكتوب في إشعياء. قالوا: إذا لم تكن المسيح ولا إيليا أو نبيا ما؛ فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسيا. أجاب يسوع: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر أني أتكلم بما يريد الله. ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه. لأني لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذي تسمونه مسيا. الذي خلق قبلي وسيأتي بعدي. وسيأتي بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية. فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة. وقصوا كل شيء على رؤساء الكهنة الذي قالوا: إن الشيطان على ظهره وهو يتلو كل شيء عليه»

وهذا هو نص إنجيل يوحنا:

في الأصحاح الأول: «في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة

الله. هذا كان في البـدء عند الله. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كـان. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس. والنور يضيء في الظلمة والظلمة لم تدركه.

كان إنسان مرسل مـن الله اسمه يوحنا. هذا جاء للشهادة ليـشهد للنور؛ لكي يؤمن الكل بواسطته. لم يكن هو النور بل ليشهد للنور. كان النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان آتيا إلى العـالم. كان في العـالم وكوّن العالم به. ولم يعـرفه العـالم. إلى خاصتـه جاء وخاصـته لم تقـبله. وأما كل الذين قبلـوه فأعطاهم سلطانا أن يصـيروا أولاد الله. أي المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مـشيئة جسد ولا من مـشيئة رجل بل من الله.

والكلمة صـار جسدا، وحل بيننا ورأينا مجـده مجدا، كما لوحـيد من الآب مملوءاً نعمة وحقا.

يوحنا شهد له ونادى قائلاً: هذا هو الذي قلت عنه: إن الذي يأتي بعدي صار قدامي لأنه كان قـبلي. ومن ملئه نحن جميـعاً أخذنا ونعـمة فوق نعمـة. لأن الناموس بموسى أعطي أما النعمـة والحق فبيسوع المسيح صارا. الله لم يره أحـد قط. الابن الوحيد الذي هو في حضن الآب؛ هو خبّر.

وهذه هي شهـادة يوحنا حين أرسل اليهـود من أورشليم كهنة ولاويين ليـسألوه من أنت؟ فاعترف ولـم ينكر وأقر: أني لست أنا المسيح. فسألوه إذًا ماذا؟ إيلـيا أنت؟ فقال: لست أنا. ألنبي أنت؟ فأجاب لا.

فقـالوا له: من أنت لنعطي جـوابا للذين أرسلونا؟ ماذا تقـول عن نفسـك؟ قال: أنا صـوت صـارخ في البـريـة: قومـوا طريق الرب. كـما قال إشـعيـاء النبي» [يوحنا ١: ١ ـ ٢٣]

البيان:

في البدء كان الكلمة

يراد بالبدء ـ عند المسيـحيين ـ ما قبل إنشاء العـالم. ويراد بالكلمة النبي المنتظر. هذا هو ما اتفقوا عليـه. ثم قالوا: إن الكلمة هي عيسى نفسه. وسبب تلقـيبه بالكلمة: هو أن إشعـياء النـبي بيّن في الأصحـاح الأربعين من سفـره أن الله وعد بإرسـال هذا النبي.

ووعده قد عُرف بكلام صدر منه، في البدء. فلذلك كتب يوحنا: «في البدء كان الكلمة» أي الوعد بإرسال هذا النبي. ومن أيام إشعياء صارت «الكلمة» تعني «النبي الآتي على مثال موسى»

وهذا هو نص إشعياء:

في الأصحاح الأربعين: «عزُّوا عزوا شعبي. يقول إلهكم. طيبوا قلب أورشليم ونادوها بأن جهادها قد كمل. أن إثمها قد عفي عنه. أنها قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها.

صوت صارخ في البرية: أعدوا طريق الرب. قوموا في القفر سبيلا لإلهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمه ينخفض ويصير المعوج مستقيما والعراقيب سهلا. فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معا لأن فم الرب تكلم.

صوت قائل: ناد. فقال: بماذا أنادي؟ كل جسد عشب، وكل جماله كزهر الحقل. يبس العشب ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه. حقا الشعب عشب. يبس العشب ذبل الزهر. وأما كلمة إلهنا فتثبت إلى الأبد.

على جبل عال اصعدي يا مبشرة صهيون. ارفعي صوتك بقوة يا مبشرة أورشليم. ارفعي لا تخافي. قولي لمدن يهوذا: هو ذا إلهك. هو ذا السيد الرب بقوة يأتي وذراعه تحكم له. هوذا أجرته معه وعملته قدامه. كراع يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان، وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات» [إش ٤٠: ١ - ١١]

البيان:

في هذا الأصحاح: تعزية اليهود شعب الله بمواعيد منه - تهيئة الطريق لمجيء المسيا - عظمه الله وبطالة الأوثان - حكمة الرب وقدرته ظاهرتان في أعماله - تشجيع شعبه بذلك.

ومن ذلك يتبين: أن الميثاق مع آدم عليه السلام كان من أجل محمد ﷺ.

خامسا: الميثاق مع موسى عليه السلام:

لموسى عليه السلام ميثاقان. ميثاق من قبل ولادته، وميثاق من بعد نبوته.

الميثاق الأول:

عقد الله عهدا مع ١- إبراهيم ٢ - وإسماعيل. والعهد مع كل منهما هو لتطهير الكعبة من عبّاد الأصنام بالسيف، أي بالجهاد في سبيل الله، ولم يبدأ التطهير بالسيف في إسماعيل إلا من محمد ﷺ فيكون العهد في إسماعيل هو عهد مع محمد ﷺ ومن قبله كان بنو إسماعيل يجاهدون في سبيل الله مع نسل إسحق الذين لهم الرئاسة من بعد موت إبراهيم على كل نسله وعلى الناس جميعا إلى أن يظهر محمد رسول الله، ولو لم يكن لإسماعيل عهد خاص مستقل عن عهد أبيه؛ لدخل في عهد أبيه، وإسحق ليس له عهد خاص، فلذلك دخل في عهد إبراهيم، وعهد إبراهيم للتطهير بدأ في حياة إبراهيم نفسه، إذْ هو إمام لكل نسله من بني إسحق، وإذ هو يعلم ذلك؛ طلب إماما في نسل إسماعيل هو محمد، وقد استجيب له، فصار في عشيرة إبراهيم كلها إمامان، وعِلْم إبراهيم معروف من قوله تعالى: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ولفظ ﴿لِلنَّاسِ﴾ في القرآن كله يدل على نسل إسحق، ونسل بني إسرائيل فقط، وإسحق نافلة لإبراهيم، أي ليس أصلا، فإن الأصل هو إسماعيل إذ العهد له، ولما كان نافلة كان ممهدا لصاحب العهد، وهو محمد رسول الله، والذي نزل عليه الكتاب الممهد هو موسى عليه السلام، فيكون داخلا في عهد إبراهيم عن طريق إسحق أبيه؛ لأن إسحق هو الذي ورث إبراهيم من بعد موته، وابتدأت بركته في الظهور من موسى، وهي ملك ونبوة، وتنتهي بظهور محمد صاحب العهد، ذلك قوله: «وبعد موت إبراهيم بارك الله إسحق ابنه، وأقام إسحق عند بئر الحي الرائي»[1] [تك ٢٥:١١] «فتراءى له الرب، وقال: لا تنزل إلى مصر، بل اسكن في الأرض التي أدلك عليها، تغرب بهذه الأرض، وأنا أكون معك، وأباركك؛ فأعطي لك ولنسلك جميع هذه البلاد، وأفي باليمين التي حلفتها لإبراهيم أبيك، وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطيهم جميع هذه البلاد، ويتبارك فيهم جميع أمم الأرض؛ لأن إبراهيم سمع كلامي، وحفظ أوامري ووصاياي وفرائضي وشرائعي» [تك ٢٦:٢ - ٥]

والبركة: هي الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله، والملك على البلاد المفتوحة. وقد

(١) بئر الحي الرائي: هي بئر زمزم عند الكعبة في «مكة».

«بنى إسحق هناك مذبحا، ودعا باسـم الرب» [تك ٢٦ : ٢٥] أي بنى مسجداً لله ودعا فيه إلى الله.

ولما حضر إسـحق الموت، أوصى لابنه إسرائيل الذي هو يعقوب بالخـلافة من بعده «وباركه وقال: ها رائحـة ابنى كرائحة حقل باركه الرب، يعطـيك الله من ندى السماء، ومن خصوبة الأرض، فيضا من الحنطة والخمر، وتخدمك الشعوب، وتسجد لك الأمم سـيدا تكون لإخـوتك، وبنو أمك يسـجـدون لك، ملعون من يلـعنك، ومبـارك من يباركك» [تك ٢٧ : ٢٧ ـ ٢٩] وقام يعـقوب بأعباء الخلافـة خير قيام، فـقد بنى مذابح لله، ودعا فيها إلى عبادته «وابن مذبحا لله الذي تراءى لك» [تك ٣٥ : ١] «وبنى هناك مـذبحـا، وسـمىّ المـوضع: إله بيت إيل؛ لأن الله تجلّى لـه هناك» [تك ٣٥ : ٧] والمراد بتجلي الله: ظهور ملاك له نيابة عن الله.

ثم جاء موسى عليه السلام من نسل يعقوب عليه السلام فدخل في العهد الذي لأبيه يعقوب، والذي لجده إسحق، والذي لجده إبراهيم؛ لأن بركة إبراهيم ستستمر في نسل إسحق إلى بعثة محمد ﷺ.

الميثاق الثاني:

وهو نص صريح بإيجاب وقـبول وهو: «فالآن هلم؛ فأرسلك إلى فـرعون، وتخرج شعبي بني إسرائيل من مصر» هذا هو الشرط «فقال موسى لله: من أنا حتى أذهب إلى فرعـون، وحتى أخرج بني إسـرائيل من مصـر؟ فقال: إني أكـون معك» وليس في رد مـوسى هذا قبـول صـريح للعـهد، فلذلـك قال له: «وهذه تكون لـك العلامـة: أني أرسلتك؛ حينمـا تخرج الشعب من مصـر؛ تعبدون الله على هذا الجبل. فـقال موسى لله: ها أنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم أرسلني إليكم؛ فإذا قالوا لي: ما اسمه؟ فـماذا أقول لهم»؟ وهذا قبـول صريح للعهد؛ لأنـه بعدما قبله سـأل عن اسمه «فقال الله لموسى: أَهْيَه الذي أَهْيَه» [خر ٣ : ١٠ ـ]

وخروج بني إسرائيل مـن مصر هو لإتمام العهد المبـرم بين الله وبين إبراهيم وإسحق ويعقوب، وهذا هو النص على ذلك:

في الأصحاح السادس من سفر الخروج: «ثم كلم الله موسى وقال له: أنا الرب. وأنا

ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأني الإله القادر على كل شيء وأما باسمي يَهْوَه فلم أُعرف عندهم. وأيضا أقمت معهم عهدي أن أعطيهم أرض كنعان أرض غربتهم التي تغربوا فيها. وأنا أيضا قد سمعت أنين بني إسرائيل الذين يستعبدهم المصريون وتذكرت عهدي. لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الرب. وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة. وأتخذكم لي شعبا وأكون لكم إلها. فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يخرجكم من تحت أثقال المصريين. وأدخلكم إلى الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيكم إياها ميراثا. أنا الرب. فكلم موسى هكذا بني إسرائيل ولكن لم يسمعوا لموسى من صغر النفس ومن العبودية القاسية» {خروج ٦ : ٢ ـ ٩}

ميثاق بني إسرائيل:

في الأصحاح التاسع عشر من سفر الخروج:

«في الشهر الثالث بعد خروج بني إسرائيل من أرض مصر في ذلك اليوم جاءوا إلى برية سيناء. ارتحلوا من رفيديم وجاءوا إلى برية سيناء فنزلوا في البرية. هناك نزل إسرائيل مقابل الجبل.

وأما موسى فصعد إلى الله. فناداه الرب من الجبل قائلا: هكذا تقول لبيت يعقوب وتخبر بني إسرائيل: أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين. وأنا حملتكم على أجنحة النسور وجئت بكم إليّ. فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي؛ تكونون لي خاصة من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض. وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة. هذه هي الكلمات التي تكلم بها بني إسرائيل.

فجاء موسى ودعا شيوخ الشعب ووضع قدامهم كل هذه الكلمات التي أوصاه بها الرب. فأجاب جميع الشعب معا وقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل. فرد موسى كلام الشعب إلى الرب. فقال الرب لموسى: ها أنا آت إليك في ظلام السحاب لكي يسمع الشعب حينما أتكلم معك فيؤمنوا بك أيضا إلى الأبد. وأخبر موسى الرب بكلام الشعب. فقال الرب لموسى: اذهب إلى الشعب وقدسهم اليوم وغدا. وليغسلوا ثيابهم ويكونوا مستعدين لليوم الثالث. لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء. وتقيم للشعب حدودا. من كل ناحية قائلا: احترزوا من أن

تصعدوا إلى الجبل أو تمسوا طرفه. كل من يمس الجبل يقتل قتلا. لا تمسه يد بل يرجم رجما أو يرمى رميا. بهيمة كان أم إنساناً لا يعيش. أما عند صوت البوق فهم يصعدون إلى الجبل.

فانحدر موسى من الجبل إلى الشعب وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم وقال للشعب: كونوا مستعدين لليوم الثالث. لا تقربوا امرأة. وحدث في اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل وصوت بوق شديد جدا فارتعد كل الشعب الذي في المحلة. وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله. فوقفوا في أسفل الجبل وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار. وصعد دخانه كدخان الأتون وارتجف كل الجبل جدا. فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا، وموسى يتكلم والله يجيبه بصوت.

ونزل الرب على جبل سيناء إلى رأس الجبل. ودعا الله موسى إلى رأس الجبل. فصعد موسى. فقال الرب لموسى: انحدر حذر الشعب لئلا يقتحموا إلى الرب لينظروا فيسقط منهم كثيرون. وليتقدس أيضا الكهنة الذين يقتربون إلى الرب لئلا يبطش بهم الرب.

فقال موسى للرب: لا يقدر الشعب أن يصعد إلى جبل سيناء، لأنك أنت حذرتنا قائلا: أقم حدودا للجبل وقدسه. فقال له الرب: اذهب انحدر ثم اصعد أنت وهارون معك. وأما الكهنة والشعب فلا يقتحموا ليصعدوا إلى الرب لئلا يبطش بهم. فانحدر موسى إلى الشعب وقال لهم.

ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا: أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية. لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي وأصنع إحسانا إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا. لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا. اذكر يوم السبت لتقدسه. ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمتك

ونزيلك الذي داخل أبوابك. لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها. واستراح في اليوم السابع. لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد على قريبك شهادة زور. لا تشته بيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك.

وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقال لموسى تكلم أنت معنا فنسمع. ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت. فقال موسى للشعب: لا تخافوا لأن الله إنما جاء لكي يمتحنكم ولكي تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا. فوقف الشعب من بعيد وأما موسى فاقترب إلى الضباب حيث كان الله» [خروج ١٩ +]

دخول موسى في ميثاق بني إسرائيل:

في الأصحاح الرابع والعشرين من سفر الخروج:

«وقال لموسى: اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. واسجدوا من بعيد ويقترب موسى وحده إلى الرب وهم لا يقتربون. وأما الشعب فلا يصعد معه.

فجاء موسى وحدث الشعب بجميع أقوال الرب، وجميع الأحكام. فأجاب جميع الشعب بصوت واحد وقالوا: كل الأقوال التي تكلم بها الرب نفعل.

فكتب موسى جميع أقوال الرب. وبكر في الصباح وبنى مذبحا في أسفل الجبل واثني عشر عمودا لأسباط إسرائيل الاثني عشر. وأرسل فتيان بني إسرائيل فأصعدوا محرقات، وذبحوا ذبائح سلامة للرب من الثيران. فأخذ موسى نصف الدم ووضعه في الطسوس. ونصف الدم رشه على المذبح. وأخذ كتاب العهد وقرأ في مسامع الشعب. فقالوا: كل ما تكلم به الرب نفعل ونسمع له.

وأخذ موسى الدم، ورش على الشعب وقال: هو ذا دم العهد الذي قطعه الرب معكم على جميع هذه الأقوال.

ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف وكذات السماء في النقاوة

ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل. فرأوا الله وأكلوا وشربوا.

وقال الرب لموسى: اصعد إليَّ إلى الجبل وكن هناك. فأعطيك لوحي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم. فقام موسى ويشوع خادمه. وصعد موسى إلى جبل الله. وأما الشيوخ فقال لهم: اجلسوا لنا ههنا حتى نرجع إليكم. وهو ذا هارون وحور معكم. فمن كان صاحب دعوى فليتقدم إليهما. فصعد موسى إلى الجبل. فغطى السحاب الجبل. وحل مجد الرب على جبل سيناء، وغطاه السحاب ستة أيام. وفي اليوم السابع دعي موسى من وسط السحاب. وكان منظر مجد الرب كنار آكلة على رأس الجبل أمام عيون بني إسرائيل. ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل. وكان موسى في الجبل أربعين نهارا وأربعين ليلة» [خروج ٢٤]

سادسا: الميثاق مع عيسى عليه السلام:

لما أخذ الله الميثاق على بني إسرائيل أن يقوموا بالدعوة إلى الله على وفق شريعة موسى، وقالوا: كل ما تكلم به الرب؛ فإياه نفعل؛ كان مما تكلم به الرب نبوءات عن محمد ﷺ منها: «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون» [تث ١٨: ١٥ ـ] فلذلك كان المسيح عيسى عليه السلام يتلو هذه النبوءات ويشرحها لتدل على محمد ﷺ بوضوح تام. وهو إذ يفعل ذلك يفعله بموجب الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل، وهو منهم.

ولما حبلت به أمه مريم بقوة الله، تذكرت عهد الله مع إبراهيم، ووعده. «فقالت مريم: تعظم نفسي الرب وتبتهج روحي بالله مخلصي. لأنه نظر إلى اتضاع أمته. فهو ذا منذ الآن جميع الأجيال تطوبني. لأن القدير صنع بي عظائم واسمه قدوس. ورحمته إلى جيل الأجيال للذين يتقونه. صنع قوة بذراعه. شتت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزاء عن الكراسي ورفع المتضعين. أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين. عضد إسرائيل فتاهُ ليذكر رحمة. كما كلم آباءنا لإبراهيم ونسله إلى الأبد»

ولما ولد يحيى عليه السلام من امرأة عاقر وشيخ كبير. قال أبوه زكريا: «مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداء لشعبه. وأقام لنا قرن خلاص في بيت داود فتاه كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر. خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع

مبغضينا. ليصنع رحمة مع آبائنا، ويذكر عهده المقدس. القَسَمَ الذي حلف لإبراهيم أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين من أيدي أعدائنا نعبده بقداسة وبر قدامه جميع أيام حياتنا. وأنت أيها الصبي نبي العلي تدعى لأنك تتقدم أمام وجه الرب، لتعد طرقه. لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضيء على الجالسين في الظلمة وظلال الموت لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام» {لوقا ١ :٦٨ ـ ٧٩}

البيان:

انظر إلى قول زكريا عليه السلام عن ابنه يحيى: «وأنت أيها الصبي نبيّ العليّ تُدعى؛ لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعدّ طرقه» أي أن يحيى نبي الله العلي العظيم يهيئ الطريق لنبي الرب الآتي. فالمراد بوجه الرب: وجه نبي الرب، والمراد بإعداد الطريق له: التبشير بمقدمه.

وقد أخذ المسيح عيسى عليه السلام عهدا على الحواريين بالتبشير في مدن بني إسرائيل والعالم باقتراب ملكوت السموات. وقد التزموا بالعهد وقاموا به خير قيام. وصرح لأم يعقوب ويوحنا بأن ولديها لا يقدران على تحمل الآلام مثلما تحملها، وأن الذي قدّر عليه تحمل الآلام؛ هو الله وحده. وهذا يدل على وفائه بعهد قد أُخذ عليه.

ففي إنجيل متى في الأصحاح التاسع عشر وما بعده: «وإذا واحد تقدم وقال له: أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحا؟ ليس أحد صالحا إلا واحد. وهو الله. ولكن إن أردت أن تدخل الحياة، فاحفظ الوصايا. قال له: أية الوصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل. لا تزن. لا تسرق. لا تشهد بالزور. أكرم أباك وأمك. وأحب قريبك كنفسك. قال له الشاب: هذه كلها حفظتها منذ حداثتي. فماذا يعوزني بعد؟ قال له يسوع: إن أردت أن تكون كاملا فاذهب وبع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء، وتعال اتبعني. فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزينا، لأنه كان ذا أموال كثيرة.

فقال يسوع لتلاميذه: الحق أقول لكم: إنه يعسر أن يدخل غني إلى ملكوت السموات. وأقول لكم أيضا: إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله فلما سمع تلاميذه بهتوا جدا قائلين: إذًا من يستطيع أن يخلص؟ فنظر إليهم

يسوع وقال لهم: هذا عند الناس غير مستطاع، ولكن عند الله كل شيء مستطاع.

فأجاب بطرس حينئذ وقال له: هـا نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك. فماذا يكون لنا؟ فقال لهم يسوع: الحق أقول لكم: إنكم أنتم الذين تبـعتموني في التجديد[١] مـتى جلس ابن الإنسـان[٢] على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضـا على اثنى عشر كرسيا تدينون أسبـاط إسرائيل الاثني عشـر. وكل من ترك بيوتا أو إخوة أو أخـوات أو أبا أو امرأة أو أولادا أو حقولا، من أجل اسمي؛ يأخذ منه ضعف، ويرث الحياة الأبدية.

ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين، وآخرون أولين.

فـإن ملكوت السمـوات[٣] يشبـه رجلا رب بيت خرج من الصـبح ليستأجـر فعلة لكرمه. فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كـرمه. ثم خرج نحو الساعة الثالثـة ورأى آخرين قـياما فـي السوق بطالين. فقـال لهم: اذهبوا أنتم أيضـا إلى الكرم فأعطيكم مـا يحق لكم فمـضوا. وخرج أيضـا نحو الساعـة السادسـة والتاسعـة وفعل كذلك. ثم نحو السـاعة الحادية عشرة خـرج ووجد آخرين قيامـا بطالين. فقال لهم: لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين؟ قالوا له: لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم: اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم.

فلما كـان المساء قال صـاحب الكرم لوكيله: ادع الفـعلة وأعطهم الأجرة مبـتدئا من الآخرين إلى الأولين. فجـاء أصحاب الساعة الحادية عشـرة، وأخذوا ديناراً ديناراً. فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر. فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا.

وفيـما هم يأخـذون تذمّروا على رب البـيت قائلين: هؤلاء الآخـرون عملوا سـاعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. فأجاب وقال لواحد منهم: يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار؟ فخذ الذي لك واذهب. فإني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحلُّ لي أن أفعل ما أريد بمالي، أم عينك شريرة لأني أنا صالح؟ هكذا يكون الآخـرون أولين، والأولون آخرين، لأن كثيـرين يُدعون، وقليلين ينتخبون.

حينئذ تقدمت إليه أمُّ ابني زبدي مع ابنيها وسجـدت وطلبت منه شيئا. فقال لها: ماذا

(١) تجديد التوراة بالقرآن (٢) ابن الإنسان: هو محمد (٣) ملكوت السموات: ملك محمد

تريدين؟ قالت له: قل أن يجلس ابني هذان. واحد عن يمينك والآخر عن اليسار في ملكوتك. فأجاب يسوع وقال: لستما تعلمان ما تطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التي سوف أشربها أنا وأن تصطبغا بالصبغة التي أصطبغ بها أنا؟ قالا له: نستطيع. فقال لهما: أما كأسي فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا، تصطبغان. وأما الجلوس عن يميني وعن يساري فليس لي أن أعطيه إلا الذين أُعد لهم من أبي.

فلما سمع العشرة اغتاظوا من أجل الآخرين. فدعاهم يسوع وقال: أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلّطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم بل من أراد أن يكون فيكم عظيما فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم. أولاً؛ فليكن لكم عبداً. كما أن ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل لَيخدُم، وليبذل نفسه فديةً عن كثيرين» [متى ١٩ +]

حث المسيح على التواضع:

وكان من عادة علماء اليهود التكبر على خلق الله، وتكبرهم هذا سيجعلهم غير متواضعين للدخول في شريعة محمد ﷺ فلذلك قال لهم: «ومن أراد أن يكون فيكم أوّلا؛ فليكن لكم عبدا» أي من أراد الرئاسة على جماعة من العلماء؛ يكون خادما لهم. وبالخدمة يكون متقدما ورئيسا. وهو يعني بذلك أن يكونوا كلهم متواضعين.

ثم أمرهم بالالتفات إلى نبوءة في إشعياء عن محمد ﷺ مكتوب فيها إنه «يبذل نفسه فدية عن كثيرين» أي يتعب نفسه في هداية الناس إلى الله. وإشعياء لقبه بالعبد المتألم من إعراض الناس عن دعوته، والمسيح لقّبه بابن الإنسان بحسب تنبؤ دانيال عنه في الأصحاح السابع. ذلك قوله: «أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم، والعظماء يتسلطون عليهم. فلا يكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً؛ فليكن لكم عبدا. كما أن ابن الإنسان لم يأت لِيُخدَمَ، بل لِيَخْدُمُ، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين»

وقد شرحنا نبوءة العبد المتألم في موضع آخر، وهذا هو نصها: «هو ذا عبدي يعقل يتعالى ويرتقي ويتسامى جدًا. كما اندهش منك كثيرون. كان منظرهُ كذا مُفسداً أكثر من الرجل، وصورتهُ أكثر من بني آدم. هكذا ينضح أمماً كثيرين. من أجلهِ يسدُّ ملوكٌ أفواههم لأنهم قد أبصروا ما لم يُخَبَروا بهِ، وما لم يسمعوهُ فهموهُ.

مَنْ صدَّق خبرنا؟ ولمن استُعلِنَت ذراع الرب؟ نَبَتَ قدامهُ كفرخٍ وكعرقٍ من أرضٍ يابسة. لا صورة لهُ ولا جمال ننظر إليهِ ولا منظر فنشتهيهُ. محتقر ومخذول من الناس رجل أوجاعٍ ومختبر الحزن. وكمستَّرٍ عنهُ وجوهنا، محتقر فلم نعتدَّ به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمَّلها ونحن حسبناهُ مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً وهو مجروحٌ لأجل معاصينا مسحوقٌ لأجل آثامنا تأديب سلامنا عليهِ وبحُبُره شفينا. كلنا كغنم ضللنا ملنا كلٌّ واحدٍ إلى طريقه والرب وضع عليهِ إثم جميعنا. ظُلم أمَّا هو فتذلَّل ولم يفتح فاهُ كشاة تساق إلى الذبح. وكنعجة صامتة أمام جازّيها فلم يفتح فاهُ. من الضُّغطة ومن الدينونة أُخِذ. وفي جيله مَنْ كان يظنُّ أنهُ قُطِع من أرض الأحياء إنه ضُرِبَ من أجل ذنب شعبي. وجُعِل مع الأشرار قبرهُ ومع غنيٍ عند موتهِ. على أنهُ لم يعمل ظلماً ولم يكن في فمهِ غشٌّ.

أمَّا الرب فسرَّ بأن يسحقهُ بالحزن. إن جعل نفسهُ ذبيحة إثمٍ يرى نسلاً تطول أيامهُ ومسرة الرب بيده تنجح. من تعب نفسهِ يرى ويشبع. وعبدي البارُّ بمعرفتهِ يبرر كثيرين. وآثامهم هو يحملها. لذلك أقسم له بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة. من أجل أنه سكب للموت نفسه، وأحصي مع أثمة. وهو حمل خطية كثيرين، وشفع في المذنبين» [إشعياء ٥٢: ١٣ +]

* * *

تم مبحث ميثاق النبيين المذكور في الآية السابعة، من سورة الأحزاب من القرآن الكريم .

ميثاق الإقرر:

وقد قال اللَّه تعالى في القرآن الكريم: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

وميثاق الإقرار هذا خاص بأنبياء بني إسرائيل من موسى عليه السلام إلى ظهور محمد ﷺ وذلك لأن الإقرار كان على جبل جرزّيم وعيبال، وموسى قد شهد عليه، وأشهد بني إسرائيل عليه، وهذا هو النص عليه:

في الأصحاح السابع والعشرين وما بعده من سفر التثنية:

« وأوصى موسى الشعب في ذلك اليوم قائلاً: هؤلاء يقفون على جبل جرزّيم لكي يباركوا الشعب حين تعبرون الأردن. شمعون ولاوي ويهوذا ويسّاكر ويوسف وبنيامين. وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة: رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالي. فيصرح اللاويون ويقولون لجميع قوم إسرائيل بصوت عال: ملعون الإنسان الذي يصنع تمثالاً منحوتاً أو مسبوكاً رجساً لدى الرب عمل يدي نحّات ويضعه في الخفاء. ويجيب جميع الشعب ويقولون: آمين. ملعون من يستخف بأبيه أو أمه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من ينقل تخم صاحبه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من يُضِلُّ الأعمى عن الطريق. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يعوّج حقَّ الغريب واليتيم والأرملة. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعون من يضطجع مع امرأة أبيه؛ لأنه يكشف ذيل أبيه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من يضطجع مع بهيمة ما. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من يضجطع مع أخته بنت أبيه أو بنت أمه. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من يضطجع مع حماته. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من يقتل قريبه في الخفاء ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من يأخذ رشوةً لكي يقتل نفس دمٍ بريءٍ. ويقول جميع الشعب: آمين. ملعونٌ من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها. ويقول جميع الشعب : آمين.

وإن سمعت لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياهُ التي أنا أوصيك بها اليوم؛ يجعلك الرب إلهك مستعلياً على جميع قبائل الأرض. وتأتي عليك جميع

هذه البركات وتدركك إذا سمعت لصوت الرب إلهك. مباركا تكون في المدينة، ومباركا تكون في الحقل. ومباركة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك وثمرة بهائمك؛ نتاج بقرك وإناث غنمك. مباركة تكون سلّتك ومعجنك. مباركا تكون في دخولك ومباركا تكون في خروجك. يجعل الرب أعداءك القائمين عليك منهزمين أمامك. في طريق واحدة يخرجون عليك وفي سبع طرق يهربون أمامك. يأمر لك الرب بالبركة في خزائنك وفي كل ما تمتد إليه يدك ويباركك في الأرض التي يعطيك الرب إلهك. يقيمك الرب لنفسه شعبا مقدسا كما حلف لك إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طرقه. **فيرى جميع شعوب الأرض أن اسم الرب قد سُمّي عليك ويخافون منك**. ويزيدك الرب خيرا في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك على الأرض التي حلف الرب لآبائك أن يعطيك. يفتح لك الرب كنزه الصالح السماء، ليعطي مطر أرضك في حينه، وليبارك كل عمل يدك؛ فتقرض أمما كثيرة وأنت لا تقترض. ويجعلك الرب رأسا لا ذنبا وتكون في الارتفاع فقط، ولا تكون في الانحطاط، إذا سمعت لوصايا الرب إلهك التي أنا أوصيك بها اليوم لتحفظ وتعمل. ولا تزيغ عن جميع الكلمات التي أنا أوصيك بها اليوم يمينا أو شمالا. لكي تذهب وراء آلهة أخرى لتعبدها.

ولكن إن لم تسمع لصوت الرب إلهك. لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه وفرائضه التي أنا أوصيك بها اليوم؛ تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك. ملعونا تكون في المدينة وملعونا تكون في الحقل، ملعونة تكون سلتك ومعجنك. ملعونة تكون ثمرة بطنك وثمرة أرضك؛ نتاج بقرك وإناث غنمك. ملعونا تكون في دخولك، وملعونا تكون في خروجك.

يرسل الرب عليك اللعن والاضطراب والزجر في كل ما تمتد إليه يدك لتعمله، حتى تهلك وتفنى سريعا من أجل سوء أفعالك إذ تركتني. يُلصق بك الربُّ الوبأ حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخلٌ إليها لكي تمتلكها. يضربك الرب بالسّل والحمّى والبُرَداء والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتّبعك حتى تفنيك. وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاسا والأرض التي تحتك حديدا. ويجعل الرب مطر أرضك غبارا وترابا. يُنزل عليك من السماء حتى تهلك. يجعلك الرب منهزما أمام أعدائك. في طريق واحدة

تخرج عليهم وفي سبع طرق تهرب أمامهم، وتكون قَلِقاً في جميع ممالك الأرض. وتكون جثتك طعاما لجميع طيور السماء ووحوش الأرض وليس من يزعجها. يضربك الرب بقرحة مصر وبالبواسير والجرب والحكة حتى لا تستطيع الشفاء. يضربك الرب بجنون وعمى وحيرة قلب. فتتلمس في الظهر كما يتلّمس الأعمى في الظلام. ولا تنجح في طرقك بل لا تكون إلا مظلوما مغصوبا كل الأيام وليس مخلّص.

تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها. تبني بيتا ولا تسكن فيه. تغرس كرما ولا تستغله. يُذبَح ثورك أمام عينيك ولا تأكل منه. يُغتصَب حمارك من أمام وجهك ولا يَرْجع إليك. تُدفَع غنمك إلى أعدائك وليس لك مخلّص. يسلّم بنوك وبناتك لشعب آخر وعيناك تنظران إليهم طول النهار فتكلان وليس في يدك طائلةٌ. ثمر أرضك وكل تعبك يأكله شعبٌ لا تعرفهُ فلا تكون إلا مظلوما ومسحوقا كل الأيام. وتكون مجنونا من منظر عينيك الذي تنظر. يضربك الرب بقرح خبيث على الركبتين وعلى الساقين حتى لا تستطيع الشفاء من أسفل قدمك إلى قمة رأسك.

يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها. أنت ولا آباؤُك. وتعبد هناك آلهةً أخرى من خشبٍ وحجرٍ. وتكون دهشاً ومَثلاً وهزأةً في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم. بذرا كثيرا تُخرج إلى الحقل وقليلا تجمع لأن الجراد يأكله. كروما تغرس وتشتغل وخمرا لا تشرب ولا تجني لأن الدود يأكلها. يكون لك زيتونٌ في جميع تخومك وبزيت لا تدهن لأن زيتونك ينتثر.

بنين وبنات تلد ولا يكونون لك لأنهم إلى السبي يذهبون. جميع أشجارك وأثمار أرضك يتولاه الصرصر. الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعدا وأنت تنحطُّ متنازلاً. هو يقرضك وأنت لا تقرضهُ. هو يكون رأسا وأنت تكون ذنباً. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك؛ حتى تهلك؛ لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياهُ وفرائضهُ التي أوصاك بها. فتكون فيك آيةً وأعجوبة وفي نسلك إلى الأبد. من أجل أنك لم تعبد الرب إلهك بفرح وبطيبة قلب لكثرة كل شيء، تستعبد لأعدائك الذين يرسلهم الرب عليك في جوعٍ وعطشٍ وعُرْيٍ وعَوَز كل شيء. فيجعل نير حديد على عنقك حتى يهلكك.

يجلب الرب عليك أمة من بعـيد من أقصاء الأرض كـما يطير النسر. أمـةً لا تفهم لسانها. أمةً جافية الوجه لا تهـاب الشيخ ولا تحنُّ إلى الولد. فتأكل ثمرة بهائمك وثمرة أرضك حتى تهلـك ولا تُبقي لك قمـحاً ولا خمـرا ولا زيتا ولا نتـاج بقرك ولا إناث غنمك حتى تفنيك. وتحاصـرك في جميع أبوابك حتى تهبط أسوارك الشامـخة الحصينة التي أنتَ تثق بـها في كـل أرضك. تحـاصرك فـي جمـيع أبوابـك في كل أرضك التي يعطيك الرب إلهك. فتأكل ثمرة بطنك. لحم بنيك وبناتك الذين أعطاك الرب إلهك في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك.

الرجل المتنعم فيك والمتـرفه جدا تبخل عينه علـى أخيه وامرأة حضنتـه وبقية أولاده الذين يبقيهم. بأن يعطي أحدهم من لحم بنيه الذي يأكله لأنهُ لم يُبق له شيءٌ في الحصار والضيقة التي يضايقك بها عدوك في جميع أبوابك. والمرأة المتنعمة فيك والمترفهة التي لم تجرب أن تضع أسفل قدمها على الأرض للتنعم والترفهِ؛ تبخل عينها على رجل حضنها وعلى ابنها وبـنتها بمشـيمتـها الخارجـة من بين رجليها وبأولادها الذيـن تلدهم؛ لأنها تأكلهم سـرا في عوز كل شيء في الحـصار، والـضيـقة التي يضـايقك بها عـدوك في أبوابك.

إن لم تحرص لتعمل بجميع كلمات هذا الناموس المكتوبة في هذا السفر؛ لتهاب هذا الاسم الجليل المرهوب الرب إلهك؛ يجـعل الرب ضرباتـك وضربات نسلك عـجيـبة. ضرباتٍ عظيمة راسـخة وأمراضاً ردية ثابتة. ويردُّ عليك جمـيع أدواء مصر التي فزعت منها فتلتـصق بك. أيضا كل مرض وكل ضربةٍ لم تكتب في سـفر الناموس هذا يسلطه الرب عليك حتى تهلك. فـتبقون نفرا قليـلا عوض ما كنتم كنجوم السـماء في الكثرة؛ لأنك لم تسـمع لصوت الرب إلهك. وكـما فرح الربُّ لكم لـيحسن إليكم ويـكثركم؛ كذلك يفرح الرب لكم ليفنيكم ويهلككم فتُـستأصَلون من الأرض التي أنت داخلٌ إليها لتمتلكها. ويبددك الرب في جميع الشعـوب من أقصاء الأرض إلى أقصائها وتعبد هناك آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من خشبٍ وحجرٍ.

وفي تلك الأمم لا تطمـئن ولا يكون قـرارٌ لقـدمك، بل يعـطيك الرب هناك قلبـا مرتجفا وكلال العينين وذبول النفس. وتكون حيـاتك معلقة قدامك، وترتعب ليلاً ونهاراً

ولا تأمن على حياتك. في الصباح تقول: يا ليته المساء. وفي المساء تقول: يا ليته الصباح، من ارتعاب قلبك الذي ترتعب ومن منظر عينيك الذي تنظر. ويردُّك الرب إلى مصر في سفنٍ في الطريق التي قلت لك: لا تَعُد تراها. فتباُعون هناك لأعدائك عبيداً وإماءً. وليس من يشتري.

هذه هي كلمات العهد الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب، فضلاً عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب.

ودعا موسى جميع إسرائيل وقال لهم: أنتم شاهدتم ما فعل الربُّ أمام أعينكم في أرض مصر بفرعون وبجميع عبيده وبكل أرضه. التجارب العظيمة التي أبصرتها عيناك وتلك الآيات والعجائب العظيمة. ولكن لم يعطكم الرب قلبا لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم. فقد سرت بكم أربعين سنة في البرية. لم تبل ثيابكم عليكم ونعلك لم تبل على رجلك. لم تأكلوا خبزا ولم تشربوا خمرا ولا مسكرا لكي تعلموا أني أنا الرب إلهكم. ولما جئتم إلى هذا المكان خرج سيحون ملك حشبون، وعوج ملك باشان للقائنا للحرب فكسرناهما وأخذنا أرضهما وأعطيناهما نصيباً لرأوبين وجاد ونصف سبط منسّى. فاحفظوا كلمات هذا العهد واعملوا بها؛ لكي تفلحوا في كل ما تفعلون.

أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب إلهكم رؤساؤكم أسباطكم شيوخكم وعرفاؤكم وكل رجال إسرائيل وأطفالكم ونساؤكم وغريبكم الذي في وسط محلتكم ممن يحتطب حطبكم إلى من يستقي ماءكم لكي تدخل في عهد الرب إلهك وقَسَمه الذي يقطعهُ الرب إلهك معك اليوم. لكي يقيمك اليوم لنفسه شعبا. وهو يكون لك إلهاً كما قال لك وكما حلف لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب.

وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القَسَم. بل مع الذي هو هنا معنا واقفاً اليوم أمام الرب إلهنا، ومع الذي ليس هنا معنا اليوم. لأنكم قد عرفتم كيف أقمنا في أرض مصر، وكيف اجتزنا في وسط الأمم الذين مررتم بهم ورأيتم أرجاسهم وأصنامهم التي عندهم من خشب وحجر وفضة وذهب. لئلا يكون فيكم رجلا أو امرأة أو عشيرة أو سبط. قلبه اليوم منصرفٌ عن الرب إلهنا لكي يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم. لئلا

يكون فيكم أصلٌ يثمر علقماً وافسنتيناً. فيكون متى سمع كلام هذه اللعنة يتبرَّك في قلبه قائلا: يكون لي سلامٌ أني بإصرار قلبي أسلك لإفناء الريان مع العطشان. لا يشاء الربُّ أن يرفق به بل يدخن حينئذ غضب الرب وغيرته على ذلك الرجل؛ فتحلُّ عليه كلُّ اللعنات المكتوبة في هذا الكتاب ويمحو الربُّ اسمهُ من تحت السماء. ويفرزه الربُّ للشر من جميع أسباط إسرائيل حسب جميع لعنات العهد المكتوبة في كتاب الشريعة هذا.

فيقول الجيل الأخير. بنوكم الذين يقومون بعدكم، والأجنبي الذي يأتي من أرض بعيدة حين يرون ضربات تلك الأرض وأمراضها التي يُمرضها بها الربُّ. كبريت وملح. كل أرضها حريق لا تُزرع ولا تُنبِت ولا يطلع فيها عشبٌ مّا كانقلاب سدوم وعمورة وأدمة وصبويم التي قلبها الربُّ بغضبه وسخطه.

ويقول جميع الأمم: لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض؟لماذا حمُو هذا الغضب العظيم؟ فيقولون: لأنهم تركوا عهد الرب إله آبائهم الذي قطعهُ معهم حين أخرجهم من أرض مصر وذهبوا وعبدوا آلهة أخرى وسجدوا لها. آلهة لم يعرفوها ولا قُسمت لهم. فاشتعل غضب الرب على تلك الأرض حتى جلب عليها كلَّ اللعنات المكتوبة في هذا السفر. واستأصلهم الرب من أرضهم بغضبٍ وسخطٍ وغيظٍ عظيمٍ وألقاهم إلى أرضٍ أخرى كما في هذا اليوم.

السرائر للرب إلهنا والمعلنات لنا ولبنينا إلى الأبد؛ لنعمل بجميع كلمات هذه الشريعة.

ومتى أتت عليك كل هذه الأمور البركة واللعنة اللتان جعلتهما قدامك. فإن رَدَدْتَ في قلبك بين جميع الأمم الذين طردك الرب إلهك إليهم. ورجعت إلى الرب إلهك وسمعت لصوته حسب كل ما أنا أوصيك به اليوم. أنت وبنوك بكل قلبك وبكل نفسك؛ يردُّ الربُّ إلهك سَبْيك ويرحمك ويعود فيجمعك من جميع الشعوب الذين بدَّدك إليهم الرب إلهك. إن يكن قد بددك إلى أقصاء السموات؛ فمن هناك يجمعك الرب إلهك ومن هناك يأخذك ويأتي بك الرب إلهك إلى الأرض التي امتلكها آباؤك؛ فتمتلكها ويحسن إليك ويكثرك أكثر من آبائك. ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك؛ لتحيا. ويجعل الرب إلهك كل

هذه اللعنات على أعدائك وعلى مبغضيك الذين طردوك. وأما أنت فتعود تسمع لصوت الرب وتعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها اليوم، فيزيدك الرب إلهك خيرا في كل عمل يدك. في ثمرة بطنك وثمرة بهائمك وثمرة أرضك. لأن الرب يرجع ليفرح لك بالخير كما فرح لآبائك. إذا سمعت لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه المكتوبة في سفر الشريعة هذا. إذا رجعت إلى الرب إلهك بكل قلبك وبكل نفسك.

إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم؛ ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك. ليست هي في السماء حتى تقول: من يصعد لأجلنا إلى السماء ويأخذها لنا ويُسمعنا إياها؛ لنعمل بها. ولا هي في عبر البحر حتى تقول: من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويُسمعِنا إياها؛ لنعمل بها. بل الكلمة قريبة منك جدا. في فمك وفي قلبك لتعمل بها.

انظر قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير والموت والشر بما أني أوصيتك اليوم أن تحب الرب إلهك وتسلك في طرقه وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه لكي تحيا وتنمو ويباركك الرب إلهك في الأرض التي أنت داخلٌ إليها لكي تمتلكها. فإن انصرف قلبك ولم تسمع بل غويت وسجدت لآلهة أخرى وعبدتها. فإني أنبئكم اليوم أنكم لا محالة تهلكون. لا تطيل الأيام على الأرض التي أنت عابر الأردن لكي تدخلها وتمتلكها. أُشهدُ عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت. البركة واللعنة. فاختَرِ الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به؛ لأنه هو حياتك والذي يطيل أيامك لكي تسكن على الأرض التي حلف الرب لآبائك إبراهيم وإسحق ويعقوب أن يعطيهم إياها.

فذهب موسى وكلم بهذه الكلمات جميع إسرائيل وقال لهم: أنا اليوم ابن مئة وعشرين سنة. لا أستطيع الخروج والدخول بعد، والرب قد قال لي: لا تعبر هذا الأردن. الرب إلهك هو عابرٌ قدامك. هو يبيد هؤلاء الأمم من قدامك فترثهم. يشوع عابرٌ قدامك. كما قال الرب. ويفعل الرب بهم كما فعل بسيحون وعوج ملكي الأموريين اللذين أهلكهما وبأرضهما. فمتى دفعهم الرب أمامكم تفعلون بهم حسب كل الوصايا التي أوصيتكم بها. تشددوا وتشجعوا. ألا تخافوا ولا ترهبوا وجوههم؛ لأن الرب إلهك سائر معك. لا يهملك ولا يتركك.

فدعـا موسى يشوع وقـال له أمام أعين جمـيع إسرائيل: تشـدد وتشجع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التي أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم إياها، وأنت تقسمها لهم. والرب سـائرٌ أمـــامك. هو يكون مـعك. لا يُهـملـك ولا يتـركك. لا تخف ولا ترتعب.

وكـتب موسى هذه التـوراة وسلَّمـها للـكهنة بني لاوي حامـلي تابوت عهـد الرب ولجمـيع شيوخ إسرائيل. وأمـرهم موسى قائلا: في نهـاية السبع السنين في ميـعاد سنة الإبراء في عيـد المظال حينمـا يجيء جميـع إسرائيل لكي يظهروا أمـام الرب إلهك في المكان الذي يختـاره؛ تقرأُ هذه التوراة أمـام كل إسرائيل في مسـامعهم. اجـمع الشعب الرجال والنسـاء والأطفال والغريب الذي فـي أبوابك لكي يسمعـوا ويتعلموا أن يتـقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة. وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون أن يتقـوا الرب إلهكم، كل الأيام التي تحيون فيها على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لكي تمتلكوها.

وقال الرب لموسـى: هوذا أيامك قد قربت لكـي تموت. ادع يشوع وقفـا في خيـمة الاجتماع لكي أوصيه. فانطلق موسى ويشوع ووقفا في خيمة الاجتماع. فتراءى الرب في الخيمة في عمود سحاب، ووقف عمود السحاب على باب الخيمة.

وقال الرب لموسى: ها أنت ترقـد مع آبائك؛ فيقـوم هذا الشعب ويفجـر وراء آلهة الأجنبيين في الأرض التـي هو داخل إليها في مـا بينهم ويتركني وينكث عـهدي الذي قطعته مـعه. فيشتعل غـضبي عليه في ذلك اليوم وأتركه وأحـجب وجهي عنه؛ فيكون مأكلة وتصيبه شرور كثـيرة وشدائد حتى يقول في ذلك اليـوم: أما لأن إلهي ليس في وسطي أصابتني هذه الشرور. وأنا أحجب وجهي في ذلك اليوم لأجل جميع الشر الذي عمله إذ التفـت إلى آلهة أخرى. فالآن اكتـبوا لأنفسكم هذا النشيـد وعلم بني إسرائيل إياه. ضـعهُ في أفـواههم لكي يكون لي هذا النشـيد شـاهدا على بني إسـرائيل. لأني أدخلهم الأرض التي أقسمت لآبائهم الفائضة لبنا وعسلا فيأكلون ويشبعون ويسمنون ثم يلتفـتون إلى آلهة أخرى ويعـبدونها ويزدرون بي وينكثون عـهدي. فمتى أصـابته شرورٌ كثـيرة وشـدائد يجاوب هذا النشـيد أمامـه شاهدا؛ لأنه لا يُنسَى من أفـواه نسلهِ. إني

عرفت فكرهُ الذي يفكر به اليوم قبل أن أدخلهُ إلى الأرض كما أقسمت.

فكتب موسى هذا النشيد في ذلك اليوم وعلم بني إسرائيل إياهُ.

وأوصى يشوع بن نون وقال: تشدد وتشجّع لأنك أنت تدخل ببني إسرائيل الأرض التي أقسمت لهم عنها وأنا أكون معك.

فعندما كمَّل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها، أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد لرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا، وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم؛ ليكون هناك شاهدا عليكم. لأني أنا عارفٌ تمردكم ورقابكم الصلبة. هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب، فكم بالحرى بعد موتى. اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأُشهِدُ عليهم السماء والأرض. لأني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيغون عن الطريق الذي أوصيتكم به ويصيبكم الشر في آخر الأيام [1]. لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تغيظوه بأعمال أيديكم.

فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه.

أنصتي أيتها السموات فأتكلم، ولتسمع الأرض أقوال فمي. يهطل كالمطر تعليمي ويقطر كالندى كلامي. كالطلّ على الكَلإ وكالوابل على العشب. إني باسم الرب أنادي. أعطوا عظمة لإلهنا. هو الصخر الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدلٌ. إله أمانة لا جورَ فيه صدّيق وعادلٌ هو.

أفسد له الذين ليسوا أولاده عيبهم. جيل أعوج ملتوٍ. ألرب تكافون بهذا يا شعباً غبيا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك؟ هو عملك وأنشأك. اذكر أيام القِدَم وتأملوا سني دورٍ فدور. اسأل أباك فيخبرك وشيوخك فيقولوا لك.

حين قسم العلُّي للأمم. حين فرق بني آدم؛ نصب تخوماً لشعوب حسب عدد بني إسرائيل. إن أقسم الرب هو شعبه. يعقوب حبل نصيبه. وجده في أرض قفر وفي خلاء مستوحش خَرِب. أحاط به ولاحظهُ وصانهُ كحدقة عينه. كما يحرك النسر عشَّهُ وعلى

(١) آخر الأيام: هي نهاية دهر شريعة التوراة، وبدء دهر النبي الأمي الآتي على مثاله.

فراخه يرفُّ ويبسط جناحيه ويأخذها ويحملها على مناكبه. هكذا الربُّ وحدهُ اقتادهُ وليس معهُ إلهٌ أجنبي. أركبهُ على مرتفعات الأرض؛ فأكل ثمار الصحراء وأرضعهُ عسلاً من حجرٍ وزيتاً من صوان الصخر. وزبدة بقرٍ ولبن غنم مع شحم خرافٍ وكباشٍ. أولاد باشان وتيوسٍ مع دسم لبِّ الحنطة. ودم العنب شربتهُ خمراً.

فسمن يشورون ورفس. سمنت وغلظت واكتست شحماً. فرفض الإله الذي عملهُ وغبى عن صخرة خلاصه. أغاروهُ بالأجانب وأغاظوه بالأرجاس. ذبحوا لأوثان ليست اللَّهُ. لآلهةٍ لم يعرفوها. أحداثٌ قد جاءت من قريب لم يرهبها آباؤكم. الصخر الذي ولدك تركته ونسيت اللَّه الذي أبدأك.

فرأى الربُّ ورذل من الغيظ بنيه وبناته. وقال: أحجب وجهي عنهم وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيلٌ متقلب. أولادٌ لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلهاً أغاظوني بأباطيلهم. فأنا أُغيرهم بما ليس شعباً. بأمة غبيةٍ أغيظهم. إنهُ قد اشتعلت نارٌ بغضبي فتتَّقد إلى الهاوية السُّفلى وتأكل الأرض وغلَّتها وتحرق أُسُس الجبال. أجمع عليهم شروراً وأُنفذُ سهامي فيهم. إذ هم خاوون من جوعٍ ومنهوكون من حُمَّى وداءٍ سام. أرسل فيهم أنياب الوحوش مع حمة زواحف الأرض. من خارج السيف يُثكل ومن داخل الخدور الرعبةُ. الفتى مع الفتاة والرضيع مع الأشيب. قلت: أبددهم إلى الزوايا وأبطل من الناس ذكرهم. لو لم أخف من إغاظة العدو، من أن ينكر أضدادهم، من أن يقولوا: يدنا ارتفعت وليس الرب فعل كل هذه.

إنهم أمَّةٌ عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم. لو عقلوا لفطنوا بهذه وتأملوا آخرتهم(١). كيف يطرد واحدٌ ألفاً ويهزم اثنان ربوةً لولا أن صخرهم باعهم والرب سلمهم؟ لأنهُ ليس كصخرنا صخرهم ولو كان أعداؤنا القضاةُ. لأن من جفنة سدوم جفنتهم، ومن كروم عمورة. عنبهم عنب سمٌّ ولهم عناقيد مرارة. خمرهم حُمَة الثعابين وسمُّ الأصلال القاتل. أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني؟لي النقمة والجزاءُ. في وقتٍ تزل أقدامهم. إن يوم هلاكهم قريبٌ والمهيآت لهم مسرعة. لأن الرب يدين شعبه وعلى عبيده يشفق. حين يرى أن اليد قد مضت ولم يبقَ محجوزٌ ولا

---

(١) هزيمتهم في آخر الأيام على يد النبي الأمي الآتي.

مطلقٌ. يقول: أين آلهتكم الصخرة التي التجأوا إليها؟ التي كانت تأكل شحم ذبائحهم وتشرب خمر سكائبهم. لتقُمْ وتساعدكم وتكن عليكم حمايةٌ.

انظروا الآن. أنا أنا هو وليس إلهٌ معي. أنا أُميت وأُحيي. سحقت وإني أشفي، وليس من يدي مخلّصٌ. أني أرفع إلى السماء يدي وأقول: حيٌ أنا إلى الأبد. إذا سننت سيفي البارق وأمسكَتْ بالقضاء يدي؛ أردُّ نقمةً على أضدادي، وأجازي مبغضي. أُسكر سهامي بدمٍ ويأكل سيفي لحماً. بدم القتلى والسبايا ومن رؤوس قوّاد العدو.

تهلّلوا أيها الأمم شعبهُ؛ لأنه ينتقم بدم عبيدهِ ويردُّ نقمه على أضدادهِ ويصفح عن أرضهِ، عن شعبهِ.

فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب، هو ويشوع بن نون. ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع إسرائيل بكل هذه الكلمات. قال لهم: وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها اليوم لكي توصوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة. لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم، بل هي حياتكم. وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها؛ لتمتلكوها» [تثنية ٢٧ +]

تطابق ميثاق الإقرار مع القرآن الكريم:

يقول اللّه تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴾

البيان:

١ ـ ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ جملة مستقلة عما بعدها.

ومعناها: أن الآدميين يتناسلون من آدميين. ومن المحتمل: أن يكون المعنى على اليهود من دون الناس أي ﴿ مِن بَنِي آدَمَ ﴾ هؤلاء، الذين نتقنا الجبل فوقهم. والغرض من الكلام: أن هذا الشعب الذي يتناسل من نسله، ولا يختلط بالأمم. إذكر أنهم يتناسلون من ذريتهم؛ لأنهم لا يختلطون بالأمم، واذكر: أن اللّه أشهدهم على أنفسهم. كما هو مكتوب في نشيد موسى، في ميثاق الإقرار.

٢ ـ وعلى معنى أن الآدميين يتناسلون من آدميين؛ نقول: ثم رجع إلى الكلام عن اليهود فقال: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ عطف على ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾ ـ ﴿ وَاقِعٌ بِهِمْ ﴾ - ﴿ مَا آتَيْنَاكُم ﴾ - ﴿ لَعَلَّكُمْ ﴾ وبعدما وضع الجملة المعترضة قال: ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ ﴾ وهو نفسه معنى: ﴿ قال فاشهدوا. وأنا معكم من الشاهدين ﴾ على ما أقررتم به. وفي نشيد موسى معنى ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾؟ وهو: «الرب تكافئون بهذا يا شعبا غبيا غير حكيم؟ أليس هو أباك ومقتنيك. هو عملك وأنشاك؟ اذكر أيام القدم، وتأملوا سني دور فدور. اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك» [تث ٣٢: ٦ ـ ٧] وفي نفس الإقرار: أنهم ﴿ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ﴾

والمراد بيوم القيامة[١]: «آخر الأيام» في قوله: «اجمعوا إليَّ كل شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات، وأشهد عليهم السماء والأرض» [تث ٣١ :٢٨ -] وقوله تعالى: ﴿ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ هو خطاب لليهود المعاصرين لمحمد ﷺ في مقابل الأوائل الذي هم آباؤهم من زمان موسى عليه السلام الذين قال عنهم: ﴿ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ ﴾ وعنهم جاء في التوراة: «اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك»

* * *

العهد على محمد ﷺ في القرآن الكريم:

يقول اللّـه تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا * لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

قوله تعالى: ﴿ وَمِنكَ ﴾ يدل عليه في نفس السورة: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِّيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ وهو من المؤمنين الذين لم يقضوا نحبهم، الداخلين تحت قوله: ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

(١) وضحنا هذا المعنى في كتابنا «يوم الرب»

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ ولما كان هو صاحب الشريعة، وهم له تبع؛ ولهم فيه أسوة حسنة؛ يكون العهد مأخوذًا عليه من قبلهم.

وقال عن عهد بني إسرائيل الذين كفروا به: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً﴾ وهو قد عاهدهم في التوراة على الجهاد في سبيل الله، وتخلوا عنه من بعد سبي بابل.

العهد على محمد ﷺ في سفر الزبور:

المكتوب في سفر الزبور ـ وهو المسمى بسفر المزامير ـ هو كلام محمد ﷺ عن نفسه، وداود قد نقله عنه. أي أن اللَّه صوَّر محمداً في الأزل متكلما، وأوحى كلامه إلى داود، وداود بلغ كلام محمد للناس على لسانه هو، لا على لسان محمد ﷺ.

ويدل على ذلك من القرآن: قوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فاللاعن لهم هو غير داود، وناقل اللعن هو داود أي أن اللعن على لسان داود من غير داود، و ﴿لُعِنَ﴾ بالبناء للمجهول؛ لا تدل على أن اللَّه هو اللاعن، لأنه لو كان هو اللاعن؛ لتكلم داود بوحي اللَّه عليه، كما تكلم إشعياء عن اللَّه بقوله عن اليهود: «وتخلفون اسمكم لعنة لمختاري» [إش ٦٥ :١٥]

وفي المزمور المائة والتاسع عشر: «انتهرتَ المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك» [مز ١١٩ :٢١]

وفي هذا المزمور يقول محمد ﷺ: «اذكر لعبدك القول الذي جعلتني أنتظره» [مز ١١٩ :٤٩] قوله: إنه ينتظره يدل على أنه قد دخل في عهد مع الله.

والقول: هو الشريعة، التي يقول عنها الله: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يريد بالتذكر: المكتوب عن القول في سفر التثنية. وهو أن النبي الأمي الآتي سيقول لهم كل ما يأمره اللَّه به، وهو: «أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أوصيه به» [تث ١٨ :١٨]. «يكلمهم بكل ما أوصيه به» هو

﴿ الْقَوْلَ ﴾ وقد وصلّه لهم، وفهموه.

وهذا هو نص المزمور المائة والتاسع عشر:

أ

«طوبى للكاملين طريقا السالكين في شريعة الرب. طوبى لحافظي شهاداته. من كل قلوبهم يطلبونه. أيضا لا يرتكبون إثما. في طريقه يسلكون. أنت أوصيت بوصاياك أن تُحَفظ تماماً. ليت طرقي تُثبَّت في حفظ فرائضك. حينئذ لا أخزي إذا نظرت إلى كل وصاياك. أحمدّك باستقامة قلب عند تعلّمي أحكام عدلك. وصاياك أحفظ. لا تتركني إلى الغاية.

ب

بم يزكي الشابُّ طريقهُ؟ بحفظهِ إياهُ حسب كلامك. بكل قلبي طلبتك. لا تُضلَّني عن وصاياك. خبأت كلامك في قلبي لكيلا أخطئ إليك. مبارك أنت يارب. علمني فرائضك. بشفتي حسبت كل أحكام فمك. بطريق شهاداتك فرحتُ كما على كل الغني. بوصاياك ألهج وألاحظ سبلك. بفرائضك أتلذَّذ. لا أنسى كلامك.

ج

أحسن إلى عبدك فأحيا وأحفظ أمرك. اكشف عن عيني فأرى عجائب من شريعتك. غريبٌ أنا في الأرض. لا تخف عني وصاياك. انسحقت نفسي شوقاً إلى أحكامك في كل حين. انتهرتَ المتكبرين الملاعين الضالين عن وصاياك. دحرج عني العار والإهانة؛ لأني حفظتُ شهاداتك. جلس أيضاً رؤساء تقاولوا عليَّ. أما عبدك فيناجي بفرائضك. أيضاً شهاداتك هي لذتي أهل مشورتي.

د

لصقت بالتراب نفسي؛ فأحيني حسب كلمتك. قد صرَّحت بطرقي فاستجبت لي. علمني فرائضك. طريق وصاياك فهمني فأناجي بعجائبك. قطرت نفسي من الحزن. أقمني حسب كلامك. طريق الكذب أبعد عني وبشريعتك ارحمني. اخترتُ طريق الحق. جعلتُ أحكامك قدامي. لصقتُ بشهاداتك. يا رب لا تخزني. في طريق وصاياك أجري؛ لأنك ترحب قلبي.

هـ

علمني يا رب طريق فرائضك فأحفظها إلى النهاية. فهمني فألاحظ شريعتك وأحفظها بكل قلبي. دربني في سبيل وصاياك لأني به سُرِرتُ. أَمِلْ قلبي إلى شهاداتك لا إلى المكسب. حوّل عيني عن النظر إلى الباطل. في طريقك أحيني. أَقِمْ لعبدك قولك الذي لمتّقيك. أَزِلْ عاري الذي حَذِرْتُ منهُ؛ لأن أحكامك طيبة. هأنذا قد اشتهيت وصاياك. بعدلك أحيني.

و

لتأتني رحمتك يا رب خلاصك حسب قولك. فأُجاوِبَ معيرّي كلمةً. لأني اتكلمتُ على كلامك. ولا تنزع من فمي كلام الحق كلَّ النزع؛ لأني انتظرتُ أحكامك. فأحفظ شريعتك دائماً إلى الدهر و الأبد. وأتمشى في رحبٍ لأني طلبت وصاياك. وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى. وأتلّذذ بوصاياك التي أحببتُ. وأرفع يديَّ إلى وصاياك التي وددتُ وأناجي بفرائضك.

ز

اذكر لعبدك القول الذي جعلتني أنتظره. هذه هي تعزيتي في مذلّتي. لأن قولك أحياني. المتكبرون استهزأوا بي إلى الغاية. عن شريعتك لم أمل. تذكرت أحكامك منذ الدهر يا رب فتعزّيت. الحمية أخذتني بسبب الأشرار تاركي شريعتك. ترنيمات صارت لي فرائضك في بيت غربتي. ذكرتُ في الليل اسمك يا رب وحفظت شريعتك. هذا صار لي؛ لأني حفظتُ وصاياك.

ح

نصيبي الربُّ. قلت لحفظ كلامك. ترّضيت وجهك بكل قلبي. ارحمني حسب قولك. تفكّرت في طرقي ورددت قدميَّ إلى شهاداتك. أسرعت ولم أتوانَ لحفظ وصاياك. حبال الأشرار التفت عليَّ. أمّا شريعتك فلم أنسَها. في مُنتصَف الليل أقوم لأحمدك على أحكام برّك. رفيقٌ أنا لكل الذين يتّقونك ولحافظي وصاياك. رحمتك يا رب قد ملأت الأرض. علمني فرائضك.

ط

خيرا صنعت مع عبدك يا رب حسب كلامك. ذوقاً صالحاً ومعرفة علمني لأني

بوصاياك آمنت. قبل أن أُذلَّل أنـا ضللت. أما الآن فحفظت قولك. صـالحٌ أنت ومحسنٌ علمني فرائضك. المتكّبرون قد لفَّقوا عليَّ كـذبا. أما أنا فبكل قلبي أحفظ وصاياك. سَمِنَ مثل الشحم قلبـهم. أما أنا فبشريعتك أتلَّذذ. خـيرٌ لي أني تذللت لكي أتعلم فرائضك. شريعة فمك خيرٌ لي من ألوف ذهب وفضةٌ.

ي

يداك صنعتاني وأنشـأتاني. فهمني فأتعلم وصـاياك. متَّقوك يرونني فيـفرحون؛ لأني انتظرت كلامك. قـد علمت يا رب أن أحكامك عدلٌ وبالحق أذللتـني. فلتصر رحـمتك لتعـزيتي حسب قولك لعـبدك. لتأتني مـراحمك فأحيـا لأن شريعتك هي لذَّتي. ليـخز المتكبرون لأنهم زوراً افـتروا عليَّ. أما أنا فأناجي بوصـاياك. ليرجع إليَّ متَّقـوك وعارفوا شهاداتك. ليكن قلبي كاملاً في فرائضك لكيلا أخزى.

ك

تاقت نفسي إلى خلاصك. كلامك انتظرت. كلَّت عيناي من النظر إلى قولك فأقول: متى تعـزّيني. لأني قد صـرت كزقٍّ في الدخان. أمـا فرائضك فلم أنسَـها. كم هي أيام عبدك. متى تجري حكماً على مضطهدي. المتكبرون قد كروا لي حفائر. ذلك ليس حسب شريعتك. كل وصاياك أمانةٌ. زوراً يضطهدونني. أعنّي. لولا قليل لأفنوني من الأرض. أما أنا فلم أترك وصاياك. حسب رحمتك أحيني فأحفظ شهادات فمك.

ل

إلى الأبد يا رب كلمتك مثبَّتة فـي السموات. إلى دور فدور أمانتك. أسَّستَ الأرض فثبتـت. على أحكامك ثبتت اليومَ لأن الكل عبيدك. لو لـم تكن شريعتك لذَّتي لهلكت حينئذٍ في مذلَّتي. إلى الدهر لا أنسى وصاياك لأنك بهـا أحييتني. لك أنا فخلِّصني لأني طلبتُ وصاياك. إيايَ انتظر الأشرار ليهلكوني. بشهاداتك أفطن. لكل كمالٍ رأيت حداً. أما وصيتك فواسعة جداً.

م

كم أحببتُ شريعتك. اليوم كله هي لهـجي. وصيتك جعلتني أحكم من أعدائي لأنها إلى الدهر هي لي. أكـثر من كل معلميَّ تـعقَّلت؛ لأن شهـاداتك هي لهجي. أكـثر من

الشيوخ فطنتُ لأني حفظت وصاياك. من كل طريق شر منعتُ رجليَّ لكي أحفظ كلامك. عن أحكامك لم أمل لأنك أنت علَّمتني. ما أحلى قولك لحنكي أحلى من العسل لفمي. من وصاياك أتفطن. لذلك أبغضت كل طريق كذبٍ.

ن

سراجٌ لرجلي كلامك، ونورٌ لسبيلي. حلفتُ فأبرُّه أن أحفظ أحكام برّك. تذلَّلتُ إلى الغاية. يا رب أحيني حسب كلامك. ارتض بمندوبات فمي يا رب وأحكامَك علّمني. نفسي دائماً في كفيَّ. أما شريعتك فلم أنسَها. الأشرار وضعوا لي فخاً. أما وصاياك فلم أضلَّ عنها. ورثت شهاداتك إلى الدهر. لأنها هي بهجة قلبي. عطفت قلبي لأصنع فرائضك إلى الدهر إلى النهاية.

س

المتقلّبين أبغضتُ وشريعتك أحببتُ. ستري ومَجنّي أنت. كلامك انتظرت. انصرفوا عني أيها الأشرار فأحفظ وصايا إلهي. اعضدني حسب قولك فأحيا ولا تُخزني من رجائي. أسندني فأخلص وأراعي فرائضك دائماً. احتقرتَ كل الضالين عن فرائضك؛ لأن مكرهم باطل. كزغلٍ عزلتَ كل أشرار الأرض. لذلك أحببت شهاداتك. قد اقشعرَّ لحمي من رعبك ومن أحكامك جزعتُ.

ع

أجريت حكماً وعدلاً. لا تسلمني إلى ظالميَّ. كن ضامن عبدك للخير لكيلا يظلمني المستكبرون. كلَّت عينايَ اشتياقاً إلى خلاصك وإلى كلمة برّك. اصنع مع عبدك حسب رحمتك وفرائضك علّمني. عبدك أنا. فهّمني فأعرف شهاداتك. إنه وقتُ عملٍ للرب. قد نقضوا شريعتك؛ لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز. لأجل ذلك حسبتُ كلَّ وصاياك في كل شيء مستقيمةً. كل طريق كذبٍ أبغضت.

ف

عجيبةٌ هي شهاداتك لذلك حفظتها نفسي. فتحُ كلامك ينير يعقّل الجهال. فغرتُ فمن ولهت لأني إلى وصاياك اشتقت. التفت إليَّ وارحمني كحق محبيّ اسمك. ثبت خطواتي في كلمتك. ولا يتسلط عليَّ إثم. افدني من ظلم الإنسان فأحفظ وصاياك.

أضئ بوجهك على عبدك وعلّمني فرائضك. جداول مياه جرت من عيني لأنهم لم يحفظوا شريعتك.

ص

بارٌ أنت يا رب وأحكامك مستقيمة. عدلاً أمرت بشهاداتك وحقاً إلى الغاية. أهلكتني غيرتي لأن أعدائي نسوا كلامك. كلمتك ممحَّصة جداً وعبدك أحبَّها. صغيرٌ أنا وحقير. أما وصاياك فلم أنسَها. عدلك عدلٌ إلى الدهر وشريعتك حقٌ. ضيق وشدَّة أصاباني أما وصاياك فهي لذَّاتي. عادلة شهاداتك إلى الدهر. فهمني فأحيا.

ق

صرخت من كل قلبي. استجب لي يا رب. فرائضك أحفظ. دعوتك. خلصني فأحفظ شهاداتك. تقدَّمت في الصبح وصرخت. كلامك انتظرتُ. تقدَّمت عيناي الهُزُع لكي ألهج بأقوالك. صوتي استمع حسب رحمتك. يا رب حسب أحكامك أحيني. اقترب التابعون الرذيلة. عن شريعتك بعدوا. قريبٌ أنت يا رب، وكل وصاياك حقٌ. منذ زمانٍ عرفت من شهاداتك أنك إلى الدهر أسَّستها.

ر

انظر إلى ذلّي وأنقذني لأني لم أنسَ شريعتك. أحسنْ دعواي وفكّني. حسب كلمتك أحيني. الخلاص بعيدٌ عن الأشرار لأنهم لم يلتمسوا فرائضك. كثيرة هي مراحمك يا رب. حسب أحكامك أحيني. كثيرون مضطهديَّ ومضايقيَّ. أما شهاداتك فلم أمل عنها. رأيت الغادرين ومقتُّ لأنهم لم يحفظوا كلمتك. انظر أني أحببت وصاياك. يا رب حسب رحمتك أحيني. رأس كلامك حق وإلى الدهر كل أحكام عدلك.

ش

رؤساء اضطهدوني بلا سبب. ومن كلامك جزع قلبي. أبتهج أنا بكلامك كمن وجد غنيمة وافرة. أبغضت الكذب وكرهتهُ. أما شريعتك فأحببتها. سبع مرات في النهار سبَّحتك على أحكام عدلك. سلامة جزيلة لمحبي شريعتك وليس لهم معثرة. رجوت خلاصك يا رب ووصاياك علمت. حفظت نفسي شهاداتك وأحبُّها جداً. حفظت وصاياك وشهاداتك؛ لأن كل طرقي أمامك.

ت

ليبلغ صـراخي إليك يا رب. حسب كلامك فهّـمني. لتدخل طلبتي إلى حـضرتك. ككلمتك نجنّي. تنبع شفـتاي تسبيحاً إذا علّمتني فـرائضك. يغنّي لساني بأقوالك لأن كل وصاياك عدل. لتكن يدك لمعونتي لأنني اختـرت وصاياك. اشتقت إلى خلاصك يا رب وشريعـتك هي لذّتي. لتحيَ نفـسي وتسبحك وأحكامك لتـعنّي. ضللت كشـاةٍ ضالّة. اطلب عبدك لأني لم أنسَ وصاياك» [مزمور ١١٩]

أيها الآب مَجِّد اسمَكَ

في إنجيل الدِّيداكي:

١ ـ «نشكرك أيها الآب القدوس، من أجل اسمك القدوس، الذي أسكنته قلوبنا»

٢ ـ «أيها السيد الكُلِّي القدرة؛ خلقت كل الأشياء لأجل اسمك»

وفي إنجيل يوحنا على لسان المسيح:

١ ـ «الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة، ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة، أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء: مجدتُ، وأمجد أيضا. الآن دينونة [1] هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا[2] العالم خارجاً» {يو١٢}

٢ ـ «أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم»

٣ ـ «أيها الآب القدوس. احفظهم في اسمك، الذين أعطيتني؛ ليكونوا واحدا كما نحن»

٤ ـ «أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني، وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم؛ ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به»

٥ ـ وفي التوراة في سفر ملاخِي: «حينئذ كلَّم متَّقُو الرب كلٌّ واحد قريبهُ، والرب أصغى وسمع وكُتِبَ أمامهُ سفر تذكرة للذين اتَّقوا الرب، وللمفكرين في اسمه. ويكونون لي ـ قال رب الجنود ـ في اليوم الذي أنا صانعٌ: خاصةً، وأشفق عليهم كما يشفق الإنسان على ابنه الذي يخدمهُ. فتعودون وتميزون بين الصِّديق والشرير، بين من يعبد الله ومن لا يعبدهُ.

فهوذا يأتي اليوم المتقد كالتنور ،وكل المستكبرين،وكل فاعلي الشرِّ؛ يكونون قشّاً، ويحرقهم اليوم الآتي – قال رب الجنود – فلا يُبقي لهم أصلاً ولا فرعاً.

---

(١) الدينونة: هي ساعة هلاك اليهود الكافرين بالنبي المنتظر على يديه في الأيام الأولى لظهوره. في يوم الرب في أرض هرمجدون.

(٢) رئيس هذا العالم: المراد به الشيطان.

ولكم أيها المتقون اسمي تشرق شمس البر والشفاء في أجنحتها، فتخرجون وتنشأون كعجول الصيرة. وتدوسون الأشرار؛ لأنهم يكونون رماداً تحت بطون أقدامكم. يومَ أفعل هذا. قال رب الجنود.

اذكروا شريعة موسى عبدي التي أمرتهُ بها في حوريب. على كل إسرائيل الفرائض والأحكام.

هاأنذا أرسل إليكم إيليا النبي قبل مجيء يوم الرب، اليوم العظيم والمخوف. فيردُّ قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم؛ لئلاً آتى وأضرب الأرض بلعنٍ» [ملاخي ٣ +]

البيان:

وعد الله بني إسرائيل بنبي من إخوتهم مثل موسى ليقيم لهم الدين عوضا عن موسى عليه السلام. وقال عنه في سفر التثنية: «أُقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم. مثلك، وأجعل كلامي في فمه؛ فيكلمهم بكل ما أُوصيه به. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي، **الذي يتكلم به باسمي**؛ أنا أُطالبه. وأما النبي الذي يُطغى فيتكلم باسمي كلاما، لم أُوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أُخرى؛ فيموت ذلك النبي. وإن قلت في قلبك: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فما تكلم به النبي باسم الرب، ولم يحدث، ولم يصر؛ فهو الكلام الذي لم يتكلم به الرب» [تث ١٨ : ١٨ ـ ٢٢]

فالنبي الآتي وهو محمد ﷺ سيأتي باسم الله. وذلك لأن بني إسرائيل لما سمعوا صوت الله وهو يتحدث مع موسى على جبل طور سيناء، وأخذتهم الرجفة؛ قالوا لموسى: إذا أراد الله أن يكلمنا بعد. فليكن عن طريقك. ونحن لك نسمع. فقال الله تعالى: سوف أكلمهم بعد زمان عن طريق غيرك. فإذا جاء هذا النبي؛ فإنه سيكون آتيا باسم الله ونائبا عنه في الكلام. ومثل ذلك: مثل الملك إذا أرسل وزيره إلى بلد من البلاد؛ ليخبرهم بأمر يريده هذا الملك منهم. فإنه إذا كلمهم؛ فإنه يكون هو الملك متكلما؛ لأنه نائب عنه وممثل له. وفي أحوال الأمم والشعوب: أن جماعات تنتخب عنهم أفراداً ليتكلموا باسمهم أمام؛ الرؤساء. فيكون المنتخب متكلما باسم جماعته. وإذا

تكلم رئيس بلد مّا أمام رؤساء بلاد فإنه يقول: أنا أتكلم باسم شعبي.

وهذا النبي الأمي الآتي لكونه سيأتي ليكلم بني إسرائيل نيابة عن الله؛ أطلقوا عليه لقب «اسم الله» وأحيانا لقب «الاسم» ليدل حال نطقه على «النبي الأمي الآتي» ولأن كل نبي قبله من بني إسرائيل إذا علّم بشريعة موسى؛ يكون حال التعليم متكلما باسم الله. لا مشرعا من تلقاء نفسه. قال عنه حال الكلام إنه «اسم الله» أي نائب عنه في هذا الوقت؛ وأنبياء بني إسرائيل كثيرون، وعلماؤهم أيضا. فلذلك ميزوا النبي الأمي الآتي عنهم بلقب «اسم الله العظيم» ولم يلقبوه باسم الله الأعظم؛ لأن الله هو الأعظم كما يقول المسيح عن معجزاته: «أبي الذي أعطاني إياها، هو أعظم من الكل، ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي» {يو ١٠:٢٩} وكما يقول عن الله: «أبي أعظم مني» {يو ١٤:٣٨}

والله تعالى عرف بني إسرائيل باسمه الذي يدل على ذاته وهو «يَهْوَه» المعادل لاسم «الله» في القرآن الكريم. ذلك قوله لموسى عليه السلام: «هكذا تقول لبني إسرائيل: يهوه إله آبائكم. إله إبراهيم وإسحق وإله يعقوب؛ أرسلني إليكم» {خروج ٣:١٥}

وقد قال لهم عن اسمه «يهوه» نبيه موسى، وعرفوه منه، وكتبوا اسمه هذا على أبواب بيوتهم. ذلك قوله: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد. فتحب الرب إلهك من كل قلبك، ومن كل نفسك، ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أُوصيك بها اليوم على قلبك، وقصّها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك، وحين تمشي في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم، واربطها علامة على يدك، ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب بيتك، وعلى أبوابك» {تثنية ٦:٤ ـ ٩}

وإذا كان اسمه «يهوه» معروفا من موسى والآباء. وقد أُمروا أن يكتبوه على أبواب بيوتهم وعلى أياديهم، وأن يتحدثوا به في مجالسهم، وفي الطرقات وهم يمشون، فما هو معنى قول المسيح ابن مريم عليه السلام: «أنا أظهرتُ اسمك للناس»؟ كيف يظهره وهو مظهر من قبله بزمان؟ وكيف يظهره للخاصة الذين آمنوا به، ولا يظهره لجميع الناس؟ إنه يقول: «أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتني من العالم» وهم الحواريون، وهم وجميع اليهود يعرفون «يَهْوَه» من التوراة. وإذ هم يعرفون اسم الله ذاته من

التوراة؛ فإن مراه المسيح بإظهار اسمه؛ هو إظهار اسم نبيه الآتي من بعده ليكلم بني إسرائيل خلفا لموسى عليه السلام. وقد أكد المسيح على أن المراد بالاسم هو النبي الآتي بقوله: «وعرفتهم اسمك. وسأعرفهم» ودعا المسيح ربه فقال: «أيها الآب مجد اسمك» أي النبي الآتي باسمك وأعطه السلطان الذي قلت عنه لدانيال: «فأعطي سلطانا ومجدا وملكوتا» [دانيال ٧: ١٤] وجاء الصوت من السماء: «مجدتُ، وأمجد أيضا»

ودانيال النبي قد أنبأ عن محمد ﷺ بأنه سيأتي عقب مملكة الروم. ولقبه بلقب «ابن الإنسان» وقال: إن الله سيعطيه ملكا عظيما «سلطانا ومجدا وملكوتا» وداود عليه السلام لقَّب النبي الأمي الآتي بلقب «ابن الله» بحسب لسان بني إسرائيل أنهم شعبه، لا شعب الشيطان الرجيم. ذلك قوله: «لماذا ارتجت[1] الأمم، وتفكر الشعوب في الباطل؛ قام ملوك الأرض، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه[2] قائلين: لنقطع قيودهما، ولنطرح عنا ربطهما. الساكن في السموات يضحك. الرب يستهزئ بهم، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه، ويرجعهم بغيظه. أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي. إني أُخبر من جهة قضاء الرب. قال لي: أنت ابني. أنا اليوم ولدتك. اسألني؛ فأعطيك الأمم ميراثا لك، وأقاصي الأرض ملكا لك؛ تحطمهم بقضيب من حديد. مثل إناء خزاف تكسّرهم...» [مزمور ٢]

فقال المسيح عيسى عليه السلام: «أيها الآب مجد اسمك» [يو ١٢: ٢٨] «ورفع عينيه نحو السماء، وقال: أيها الآب قد أتت الساعة. مجد ابنك؛ ليمجدك ابنك أيضا» [يو١٧: ١] فقد فسر الاسم بأنه هو الابن. والابن هو النبي الأمي الآتي إلى العالم، الذي يلقبونه أيضا بلقب ابن الإنسان.

فإن دانيال النبي قد أنبأ عن قيام الممالك الأربعة بابل وفارس واليونان والرومان، ثم قال عن الآتي الذي سيزيل المملكة الرابعة: «كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان؛ أتى وجاء إلى القديم الأيام؛ فقربوه قدامه؛ فأعطي سلطانا

---

(١) نبوءة داود هذه؛ طبقها علماء المسلمين على محمد رسول الله ﷺ وقالوا: إن الابن على المجاز، لا على الحقيقة. فكل البشر عيال الله؛ مجازا، لا أنهم أبناؤه على الحقيقة. [راجع: تخجيل من حرف الإنجيل ـ الأجوبة الفاخرة ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح]

(٢) المسيح: بلغة بني إسرائيل هو محمد، وعيسى مسيح، ولكن ليس هو المسيح.

ومجدا وملكوتا؛ لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي ما لن يزول، وملكوت ما لا ينقرض» [دا ٧: ١٣ ـ ١٤]

وقال المسيح عن «ابن الإنسان» إنه «اسم ابن الله الوحيد» و«ابن الله» هو محمد ﷺ في نبوءة داود عليه السلام. وهو سيأتي باسم الله. كما قال عنه موسى عليه السلام. وميزه عن أنبياء بني إسرائيل وعلمائهم الذين يعلّمون التوراة باسم الله بأنه هو «الوحيد» وقال المسيح: إن بني إسرائيل لما أخطأوا في حياة موسى؛ أرسل الله عليهم الحيات؛ فلدغتهم. وعندئذ صلّى موسى لأجل الشعب «قال الرب لموسى: اصنع لك حية محرقة، وضعها على راية؛ فكل من لُدغ ونظر إليها؛ يحيا. فصنع موسى حية النحاس؛ ووضعها على الراية فكان متى لدغت حية إنسانا ونظر إلى حية النحاس؛ يحيا» [عدد٢١: ٥ ـ ٩]

قال المسيح: كما كانت حية النحاس قد جعلها الله سببا في تخليص اليهود من عقاب الخطيئة، كذلك سيكون النبي الآتي مخلّصا لهم إذا قبلوه. فإنه سيأتي وسيتعب نفسه في قتال أعداء الله، وسيتألم من إعراضهم عنه. وسيبذل نفسه في الجهاد حتى يكون الدين لله. وإذ سيفعل ذلك سيخلصهم من ذل الأجانب، وسيجعلهم أحرارا لا سلطان لأجنبي عليهم. ذلك قوله عليه السلام: «وكما رفع موسى الحية في البرية؛ هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان؛ لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ **لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد**؛ لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية؛ لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم؛ ليدين العالم، بل ليخلّص به العالم، الذي يؤمن به؛ لا يُدان، والذي لا يؤمن؛ قد دين؛ لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد» [يو ٣: ١٤ ـ ١٨]

ومعنى رفعة «ابن الإنسان»: هو ظهوره بكلام الله ليثبت لله مملكة عظيمة.

وقال المسيحيون: إن المقصود برفعة ابن الإنسان: هو موت المسيح عيسى على الصليب، وقالوا: إنه هو ابن الإنسان في نبوءة دانيال، وإنه هو ابن الله في نبوءة داود. ويرد قولهم: أن المسيح يتكلم عن غيره لا عن نفسه، وأن زمن ظهور هذا النبي هو نهاية المملكة الرابعة، والمسيح مولود في بدايتها، وأن المسيح لم يأت بشريعة تخالف شريعة

موسى، وأن المسيح لم يحارب ولم يملك على أي بلد من البلاد، وأنه لم يقتل ولم يصلب.

وعظّم المسيح ابن الإنسان. فقال. : «إني أنا هو» يعني: أنه لكونه يبشّر به، ووعد الله لا يتخلف. عدّ كأنه قد بُعث حقا وإذ هو مرسل من الله، والآتي سيرسل من الله مثله، عدّ كأنه هو. لاتحادهما مع الله في هدف واحد. كما يقول النبي ﷺ لسلمان الفارسي: «لئن كنت صدقتني يا سلمان؛ فقد لقيت المسيح عيسى ابن مريم» وفي هذا المعنى يقول المسيح: «متى رفعتم ابن الإنسان؛ فحينئذ تفهمون أني أنا هو، ولست أفعل شيئا من نفسي، بل أتكلم بهذا، كما علمني أبي. والذي أرسلني هو معي، ولم يتركني الآب وحدي؛ لأني في كل حين؛ أفعل ما يرضيه»

ثم تكلم عن تخليص اليهود من ذل الأجانب على يد «الابن» الذي هو محمد رسول الله بحسب تعبير داود عنه فقال: «وكما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يُرفعَ ابن الإنسان. لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية. لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلص به العالم. الذي يؤمن به لا يدان والذي لا يؤمن قد دين لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد. وهذه هي الدينونة أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور. ولا يأتي إلى النور لئلا تُوبَّخ أعمالهُ. وأمَّا مَنْ يفعلْ الحقَّ. فيُقبِل إلى النور لكي تظهر أعمالهُ أنها بالله معمولة» {يوحنا ٣}

لاحظ:

١ ـ «أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرركم الابن ـ الذي هو النبي الآتي ـ فبالحقيقة تكونون أحرارا»

٢ ـ «أنا لست أطلب مجدي، يُوجد من يطلب ويدين» أي يهلك بالحرب معظم مخالفيه في الأيام الأولى لظهوره.

٣ ـ «فلن يرى الموت إلى الأبد» أي ستكون حياة طيبة لكل من يقبل الابن.

٤ ـ وقد قال المسيح: «إني أنا هو» وأنا أكلمكم باسم الله. والآتي من بعدي سيأتي باسمي، وباسم الله. فنحن ثلاثة. وفي الحقيقة نحن على هدف واحد. وكما أنني أنا الآن أمجد الله، سيمجده النبي الآتي، وسيمجدني أنا أيضا، والله مجدني لأنني سمعت قوله، وبلغته للناس. ولأنه قال: «إني أنا هو» تخيّل محمدا موجودا بجسمه في جسمه هو. وجعل محمدا متكلما هكذا: «أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومي؛ فرأى وفرح» ثم قال على لسان محمد ﷺ: «قبل أن يكون إبراهيم؛ أنا كائن» يشير بذلك إلى أن آدم عليه السلام لما طُرد من الجنة منفيا؛ رأى مكتوبا على باب الجنة: لا إله إلا الله محمد رسول الله» [1]

اللغو في الساعة:

يقول يوحنا في الأصحاح الثاني عشر: «وكان أناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا[2] في العيد. فتقدم هؤلاء إلى فيلبّس الذي من بيت صيدا الجليل وسألوه قائلين: يا سيد نريد أن نرى يسوع. فأتى فيلبس وقال لأندراوس ثم قال أندراوس وفيلبس ليسوع. وأما يسوع فأجابهما قائلاً: قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان. الحق الحق أقول لكم: إن لم تقع حبة الحنطة في الأرض وتَمُت فهي تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتي بثمر كثير. من يحب نفسهُ يهلكها ومن يبغض نفسهُ في هذا العالم يحفظها إلى حياة أبدية. إن كان أحدٌ يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي وإن كان أحدٌ يخدمني يكرمه الآب. الآن نفسي قد اضطربت. وماذا أقول؟ أيها الآب نجني من هذه الساعة. ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة. أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء: مجدت وأمجد أيضا. فالجمع الذي كان واقفا وسمع

---

(١) في الأصحاح الحادي والأربعين من إنجيل برنابا: «حينئذ قال الله: انصرف أيها اللعين من حضرتي. فانصرف الشيطان. ثم قال الله لآدم وحواء اللذين كانا ينتحبان: اخرجا من الجنة. وجاهدا أبدانكما ولا يضعف رجاؤكما. لأني أرسل ابنكما على كيفية يمكن بها لذريتكما أن ترفع سلطة الشيطان عن الجنس البشري. لأني سأعطي رسولي الذي سيأتي كل شيء. فاحتجب الله وطردهما الملاك ميخائيل من الفردوس. فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فبكى عند ذلك وقال: أيها الابن عسى الله أن يريد أن تأتي سريعا وتخلصنا من هذا الشقاء» [برنابا ٤١]

(١) السجود: هو الحج.

قال قد حدث رعد. وآخرون قالوا: قد كلمه ملاك أجاب يسوع وقال: ليس من أجلي صار هذا الصوت بل من أجلكم. الآن دينونة هذا العالم. الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا. وأنا أن ارتفعت عن الأرض أجذب إليَّ الجميع. قال هذا مشيرا إلى أية ميتة كان مزمعا أن يموت. فأجابه الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت أنه ينبغي أن يرتفع ابن الإنسان؟ من هو هذا ابن الإنسان؟ فقال لهم يسوع: النور معكم زمانا قليلا بعد فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام. والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب. ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور. تكلم يسوع بهذا ثم مضى واختفى عنهم. . . فنادى يسوع وقال: الذي يؤمن بي ليس يؤمن بي بل بالذي أرسلني. والذي يراني يرى الذي أرسلني. أنا قد جئت نورا إلى العالم حتى كل من يؤمن بي لا يمكث في الظلمة. وإن سمع أحد كلامي ولم يؤمن فأنا لا أدينه. لأني لم آت لأدين العالم بل لأخلص العالم. من رذلني ولم يقبل كلامي؛ فله من يدينه. الكلام الذي تكلمت به هو يدينه في اليوم الأخير. لأني لم أتكلم من نفسي لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصية ماذا أقول وبماذا أتكلم. وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية. فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم» [يوحنا ١٢]

البيان:

١ - «قد أتت الساعة؛ ليتمجد ابن الإنسان»

المراد بالساعة: ساعة هلاك اليهود على يد النبي الآتي في الأيام الأولى لظهوره، وهي الأيام المعروفة بيوم الرب العظيم. وذلك لأن من أوصاف النبي الآتي أن من لا يسمع له من اليهود؛ سيُباد من الشعب في يوم الرب.

ويوم الرب أ - إما أن يكون معناه: يوم نبي الرب. والرب هو السيد. وقد وصف السيد بالعظيم.

ب - وإما أن يكون معناه: يوم الله العظيم. والمعنيان هما واحد، ولغرض واحد.

وفي آخر أيام المسيح عيسى عليه السلام سأله تلاميذه عن انقضاء دهر الملك

والشريعة في بني إسرائيل، وعن بدء الدهر الآتي. وأجاب بأنه ستحدث علامات في الكون: منها . قيام حروب بين الأمم. وحدوث مجاعات وزلازل وأوبئة. . . إلخ. وبعد هذه العلامات «يأتي المنتهى» على يد النبي الآتي، ويشن حربا شديدة على اليهود المخالفين له ليطهر الأرض منهم كما طهرت في أيام نوح عليه السلام. وقال عن ساعة هذه الحرب وعن يوم الرب: «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة؛ فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبي وحده، وكما كانت أيام نوح؛ كذلك يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان» [متى ٢٤: ٣٦ ـ ٣٧]

وقد لغا محرفو الأناجيل في هذه «الساعة» بقولهم: إنها ساعة قتل المسيح على الصليب، وأن المسيح طلب من الله أن ينجيه من القتل في هذه الساعة. وقولهم باطل؛ فإن المسيح لم يقتل ولم يصلب. وغرضه من النجاة في هذه الساعة؛ هو أنه يتكلم بالنيابة عن أتباعه أن ينجيهم الله من الهلاك فيها.

٢ ـ «ليتمجد ابن الإنسان»

المراد بالمجد: إظهار ملك النبي الآتي وسلطانه على الأرض، وملكه وسلطانه هما ملك الله وسلطانه [(١)]. وقد عبر عن المعنى بلسان بين آدم ليقدروا على تصور ذاته،

---

(١) في المزمور ١٤٧: «سبحوا الرب لأن الترنم لإلهنا صالح لأنه ملذ. التسبيح لائق. الرب يبني أورشليم يجمع منفيي إسرائيل. يشفي المنكسري القلوب ويجبر كسرهم. يحصي عدد الكواكب يدعو كلها بأسماء. عظيم هو ربنا وعظيم القوة. لفهمه لا إحصاء. الرب يرفع الودعاء ويضع الأشرار إلى الأرض.

أجيبوا الرب بحمد. رنموا لإلهنا بعود. الكاسي السموات سحابا المهيئ للأرض مطرا المنبت الجبال عشبا. المعطي للبهائم طعامها لفراخ الغربان التي تصرخ. لا يسر بقوة الخيل. لا يرضى بساقي الرجل. يرضى الرب بأتقيائه بالراجين رحمته.

سبحي يا أورشليم الرب، سبحي إلهك يا صهيون. لأنه قد شدد عوارض أبوابك. بارك أبناءك داخلك. الذي يجعل تخومك سلاما ويشبعك من شحم الحنطة. يرسل كلمته في الأرض سريعا جدا، يجري قوله. الذي يعطي الثلج كالصوف، ويذري الصقيع كالرماد. يلقي جمده كفتات. قدام برده من يقف؟ يرسل كلمته فيذيبها. يهب بريحه فتسيل المياه. يخبر يعقوب بكلمته وإسرائيل بفرائضه وأحكامه. لم يصنع هكذا بإحدى الأمم. وأحكامه لم يعرفوها. هللويا» [مزمور ١٤٧]

وليعظموا هذا النبي. فـالله هو الخالق للأرض. وأرض مكة المكرمة هي من الأرض التي خلقهـا. والخلق يدل على تمجيـد الله. إذ قدرته ظاهرة في مخلـوقاته، ولكنه سيـجدد حالهـا؛ في الوقت الذي سيظهر فـيه النبي المنتظر، وسيـجعلها عاصـمة ملكه بدل أن كانت كـأية مدينة من مدن العـالم. وفي حالة ظهـوره ستكون مجـددة بقوته ومسـتنيرة بشريعته. ذلك قـوله: «قومي استنيري؛ لأنه قد جاء نورك، ومـجد الرب أشرق عليك؛ لأنه ها هي الظلمة تغطي الأرض، والظلام الدامس الأمم. أما عليك فيشرق مجد الرب ومجده عليك يُرى، فتسير الأمم في نورك، والملوك في ضياء إشراقك...» [إش ٦٠]

وقال إشـعياء: إنـه في أيام شريعة النبي الآتي؛ سـتكون مكة المكرمة «تسـبيـحة في الأرض» [إش ٦٢: ٧] وسيشعّ مجـدًا لله منها على جميع الأمم. التي تأتي إليهـا وتسير في نورها. ولكن المحـرفين يضـعون «أورشليم» مكان «مكة» مـع علمهم بأن الله قـد رفض اليهود من السير أمامه من الأصحاح الخامس والستين من سفر إشعياء، ومن نشيد موسى في سفر التثنية ٣٢ .

وبعدما قال إشعياء: إن مجدها سيشعّ على جميع الأمم؛ قال على لسان الله تعالى: إن ذلك سيكون في الأيام الأخيرة لملك بني إسرائيل وشريعتهم. وهي الأيام الأولى لملك بني إسماعيل وشريعتهم: «حان أن أحـشر جميع الأمم والألسنة؛ فيأتون ويرون مجدي» [إش ٦٦: ١٨ ـ ١٩] وفي ترجمة أخرى: «وأنا أجازي أعـمالهم وأفكارهم. حدث لجمع كل الأمم والألسنة؛ فيأتون ويرون مجدي» وفي سفر الزبور وسفر حَبَقّوق، وفي أسفار الرؤى؛ هذا المعنى. ففي المزمور ٩٧: ٦ «أخبرت السموات بعدله، ورأى جميع الشعوب مجده» وبدء هذا المزمور: «الرب قد ملك؛ فتبـتهج الأرض، ولتفرح الجزائر الكثيرة» أي ملك نبيه على الأمم والشعوب. وفي حبقُّوق ٢: ١٤ «لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب، كـما تغطـي المياه البـحـر» ثم تكلم عن مجـئ النبي المنتظر من فـاران، ولقّبـه بالقدوس وبالمسيح. في الأصحاح الثالث.

وقال إشـعياء عن عـبد الرب المسالم والمتـألم. وهو النبي الآتي: إنه به سيـشعّ المجد الإلهي، إلى أقاصي الأرض «أنت عبدي؛ فإني بك أتمجد» [إش ٤٩: ٣]

وقال المسـيح عيسى عليه السـلام: إن المجد الإلهي سيتم عند مـجئ ابن الإنسان في الأيام الأخيـرة لملك بني إسرائيل وشريعـتهم. ويسمونـه «المجد الإسكاتولوجي» المرتبط

بالأزمنة الأخيرة.

ذلك قوله: «لأن من استحى بي وبكلامي في هذا الجيل الفاسق الخاطئ؛ فإن ابن الإنسان يستحي به متى جاء بمجد أبيه مع الملائكة القديسين» {مرقس٨:٣٨} يعني: أن النبي الآتي الملقب من دانيال بلقب ابن الإنسان سوف يأتي إلى فلسطين مع أصحابه الشبيهين بالملائكة لينزعها من اليهود الفاسقين الخطاة بقوة السلاح. وقد توجه أصحابه من بعده بأمر منه، وأخذوها عنوة في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأسسوا فيها «ملكوت الله»

وقال متى عن هذا الأمر: «ومتى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة القديسين معه؛ فحينئذ يجلس على كرسي مجده....» {متى ٢٥:٣١ ـ }

التسبيح باسم الله العظيم:

وقال أنبياء بني إسرائيل: إنه ينبغي التسبيح باسم الله، وباسم النبي الآتي نيابة عن الله؛ لأنه هو صاحب المجد. ومن يسبح باسمه؛ فكأنه يعظم المجد الآتي ويعظم الخالق عز وجل. ويعبرون عن التسبيح بالترنم والفرح والابتهاج. وبلفظ التسبيح أيضا. ففي المزمور المائة والتاسع والأربعين: «هللويا. غنوا للرب ترنيمة جديدة تسبيحته في جماعة الأتقياء. ليفرح إسرائيل بخالقه. ليبتهج بنو صهيون بملكهم؛ ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنموا له؛ لأن الرب راض عن شعبه. يجمّل الوُدَعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم. تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم. ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب. لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد. ليجروا بهم الحكم المكتوب. كرامة هذا لجميع أتقيائه. هللويا» {مز ١٤٩}

البيان:

١ ـ الترنيمة الجديدة: كناية عن الشريعة الجديدة.

٢ ـ «**بملكهم؛ ليسبحوا اسمه**» المراد بالملك: النبي الأمي الآتي. وقد أمر بالابتهاج به، وبالتسبيح باسمه. أي للعمل بشريعته.

٣ ـ ووصف شعب النبي الآتي بأنهم: ﴿ **مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم**

مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ذلك قوله: «تنويهات الله في أفواههم، وسيف ذو حدين في يدهم؛ ليصنعوا نقمة في الأمم، وتأديبات في الشعوب...»

وأما عن التسبيح باسم الله نفسه. ففي المزمور المائة والثامن والأربعين: «هللويا. سبحوا الرب من السموات، سبحوه في الأعالي. سبحوه يا جميع ملائكته، سبحوه يا كل جنوده. سبحيه يا أيتها الشمس والقمر، سبحيه يا جميع كواكب النور. سبحيه يا سماء السموات ويا أيتها المياه التي فوق السموات. لتسبح اسم الرب؛ لأنه أمر فخلقت. وثبتها إلى الدهر والأبد. وضع لها حدا فلن تتعداه.

سبحي الرب من الأرض يا أيتها التنانين وكل اللجج. النار والبرد الثلج والضباب الريح العاصفة الصانعة؛ كلمته. الجبال وكل الآكام الشجر المثمر وكل الأرز. الوحوش وكل البهائم الدبابات والطيور ذوات الأجنحة. ملوك الأرض وكل الشعوب الرؤساء وكل قضاة الأرض. الأحداث والعذارى أيضا، الشيوخ مع الفتيان؛ ليسبحوا اسم الرب؛ لأنه قد تعالى اسمه وحده. مجده فوق الأرض والسموات. وينصب قرنا لشعبه فخرا لجميع أتقيائه. لبني إسرائيل الشعب القريب إليه. هللويا» {مز ١٤٨}

«ليتقدس اسمك»

١ ـ وقال عيسى عليه السلام: «أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك» {متى٦: ٩ ـ ١٠}

٢ ـ «أبانا الذي في السموات. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك» {لوقا ١١: ٢}

٣ ـ وفي إنجيل الديداكي: «ولا تصلوا كالمرائين، بل كما أمر الرب في إنجيله. فصلوا هكذا: أبانا الذي في السماء. ليتقدس اسمك. ليأت ملكوتك» {٨: ٢}

٤ ـ وفي إنجيل بَرنابا: «أيها الرب إلهنا. ليتقدس اسمك القدوس. ليأت ملكوتك فينا» {بر ٦:٣٧ ـ ٨}

والملكوت: هو ملكوت محمد ﷺ طبقا لرواية دانيال، ودعوة المسيح باقترابه. وقوله: أبانا الذي في السموات: هو تمييز لله عن جميع السادة المعلمين على شريعة

التوراة. فإن كل واحد فيهم «أب» أي معلم وسيد. وقد بيَّن الله في القرآن الكريم لليهود وللنصارى أن محمدًا ﷺ ليس أبا كالمعلمين والسادة على شريعة التوراة. وذلك لأنه صاحب شريعة مستقلة عن شريعة التوراة. ذلك قوله: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (٤٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴾

وتقديس الاسم المراد به: تعظيم النبي الآتي، لا اسم الله نفسه. وذلك لأن معنى القدوس في اللغة العبرانية هو «الذي لا يتغير» ومكتوب في كتاب التوراة: أن الله لا يتغير. فما هي الفائدة من قولهم لا يتغير اسمك؟ ففي سفر ملاخي: «لأني أنا الرب لا أتغير» [مل ٣:٦]

﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

وقد تطابق التسبيح باسم الرب العظيم على معنى أنه النبي الأمي الآتي باسم الرب ليكلم بني إسرائيل نيابة عن الله مع القرآن الكريم. ففي سورة الواقعة يخبر عن حرب قادمة ويصف شدتها بعبارات كنائية ثم يتحدث عن أمتين اثنتين أمة أولى وأمة آخرة. قال عنهما الله تعالى في سورة البقرة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

ثم تكلم عن اليهود وهم الأمة الأولى وقال عن الكافرين منهم: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾

ثم حثهم على الإيمان بدلائل قدرته وعظيم نعمته فقال: ﴿ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴾؟ وبعدما فرغ من ذلك قال لليهودي: فإن وعيت معنى هذا، وتبت ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ بحسب المكتوب عندك في الزبور، وإذا أنت فتحت الزبور، وقرأت مزامير التسبيح؛ فإنها ستدلك على اسم الملك الذي ترنم له ترنيمة جديدة.

وكرر الكلام للتأكيد. فقال إن هذا القرآن الذي تعرفه بأنه ترنيمة جديدة؛ هو كريم وهو في كتاب مكنون عن مس الشياطين له، ولا يمسه إلا الملائكة المطهرون؛ فآمن به من قبل أن يأتيك الموت الذي لا تستطيع له دفعا. فإذا علمت هذا ووعيته؛ فاعبد الله

وكرر الكلام للتأكيد في سورة الحاقة ـ وهي بمعنى الواقعة ـ وفيها يقول عن أصحاب الشمال الذين أخذوا كتبهم بشمالهم: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ثم يقول عن القرآن: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ثم يأمرهم بقراءة الزبور في مواضع التسبيح باسم الملك الآتي وهو النبي ﷺ وفيها: «غنوا للرب ترنيمة جديدة. تسبيحته في جماعة الأتقياء؛ ليفرح إسرائيل بخالقه ليبتهج بنو صهيون بملكهم؛ ليسبحوا اسمه برقص. بدف وعود ليرنموا له. لأن الرب راض عن شعبه. يجمّل الودعاء بالخلاص...».

﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾

ويوجد فرق بين الأعظم والعظيم. فاسم الله هو الأعظم، واسم النبي الآتي ليكلم بني إسرائيل نيابة عنه هو العظيم، والأعلى خاص باسم الله.

والمتكلم بالنيابة عنه هو العلي.

وآية الكرسي فيها نبوءات عن محمد ﷺ قد بيناها في غير هذا الكتاب.

وفي سفر الجامعة في الأصحاح الخامس: «إن رأيت ظلم الفقير، ونزع الحق والعدل في البلاد؛ فلا ترتع من الأمر؛ لأن فوق العالي عاليا يلاحظ، والأعلى فوقهما» {جا ٥: ٨}

وفي سفر الزبور: نبوءات باسم العلي

ففي المزمور الثاني والتسعين: «حسن هو الحمد للرب والترنم لاسمك أيها العلي. أن يخبر برحمتك في الغد وأمانتك كل ليلة على ذات عشرة أوتار وعلى الرباب على عزف العود. لأنك فرحتني يا رب بصنائعك. بأعمال يديك أبتهج. ما أعظم أعمالك يا رب وأعمق جدا أفكارك. الرجل البليد لا يعرف والجاهل لا يفهم هذا. إذا زها الأشرار كالعشب وأزهر كل فاعلي الإثم فلكي يبادوا إلى الدهر. أما أنت يا رب فمتعال إلى الأبد. لأنه هوذا أعداؤك يا رب لأنه هوذا أعداؤك يبيدون. يتبدد كل فاعلي الإثم. وتنصب مثل البقر الوحشي قرني. تدهنت بزيت طري. وتبصر عيني بمراقبي. وبالقائمين عليَّ بالشر تسمع أذناي.

الصديق كالنخلة يزهو كالأرز في لبنان ينمو. مغروسين في بيت الرب في ديار إلهنا

يزهرون. أيضا يثمرون في الشيبة. يكونون دساما وخضرا. ليخبروا بأن الرب مستقيم. صخرتي هو ولا ظلم فيه» {مزمور٩٢}

البشارة باسم محمد ﷺ من بعد المسيح عيسى عليه السلام:

في رسالة يوحنا الثالثة. يكتب يوحنا لأخ له في الله: «أيها الحبيب. أنت تفعل بالأمانة كل ما تصنعه إلى الأخوة، وإلى الغرباء. الذين شهدوا بمحبتك أمام الكنيسة الذين تفعل حسنا إذا شيعتهم كما يحق لله؛ **لأنهم من أجل اسمه خرجوا**، وهم لا يأخذون شيئا من الأمم. فنحن ينبغي لنا أن نقبل أمثال هؤلاء؛ لكي نكون عاملين معهم بالحق» {٣ يو ٥ ـ ٨}

والمعنى:

إن هؤلاء الذين خرجوا وهم فقراء، جهادا في سبيل الله؛ ينبغي لنا أن نقبل أمثالهم؛ لأنهم خرجوا للبشارة بالاسم.

وفي سفر أعمال الرسل أن المبشرين الأوائل كانوا يبشرون بالاسم، ولكن المحرفين جعلوه اسم يسوع. وهم يعلمون أن يسوع كان مبشرا بالاسم من قوله: «أيها الآب مجد اسمك» ومن قوله: «أنا لست أطلب مجدي. يُوجد من يطلب ويدين»

وقد قال لهم رئيس الكهنة: «أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم. وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم»؟ {أع٥}

ويُطلق النصارى الأولون على أنفسهم عن طيب خاطر تسمية «الذين يدعون باسم الرب» {أع٩}

وكانوا يصبغون في الماء باسم الرب. والصبغ[1] كان علامة تمييز بين اليهودي الذي قبل الدخول في نبوة محمد ﷺ والدعوة إليه، وبين اليهودي الذي بقى على يهوديته، ووطن نفسه أن ينكره، ذلك قوله: «غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب» {أ ع ٨}

---

(١) صبغ في اللغة العبرانية تنطق صبأ بالهمزة. فلذلك كان يطلق على الصابغين أتباع يحيى عليه السلام لقب «الصابئين»

لغو اليهود في النبي الآتي باسم الله:

لما حرف اليهود كتاب التوراة كتبوا النبوءات عن محمد ﷺ محتملة له ومحتملة لنبي سيأتي منهم أنفسهم. ثم وضعوا كتبا تفسيرية لها مثل كتاب التلمود. وقد لغو في النبي الآتي باسم الله بقولهم: إن لله اسما أعظم. ولم يقولوا إنه اسم النبي الآتي نيابة عن الله، وإنما قالوا هو اسم خاص لله نفسه، من يعرفه من السحرة والمنجمين والعرافين؛ فإنه يقدر على تسخير الشياطين به؛ لمنفعته، ومن يعرفه ويتوسل به إلى الله فإنه يقضي حوائجه. وغرضهم من ذلك: هو تشكيك الناس في حقيقة النبي الآتي باسم الله. وابتدعوا له أسماء، وأظهروا فيها خلافا ليؤكدوا بالخلاف حقيقة زعمهم. وقالوا: إن سليمان عليه السلام كان يسخر الشياطين به. وأدخلوا هذا في المسلمين وهم يعلمون أن لله اسما واحدا هو «الله» وله أسماء تحمل معنى الصفات هي الرحمن الرحيم الملك . . الخ. وهو عندهم «يَهْوَه» وليس لله من اسم هو أعظم من اسم آخر

فأسماؤه كلها على درجة واحدة في الحسن. وأظهروا في الاسم الأعظم خلافا بقولهم هل هو «الحي القيوم» أم هو «الله»؟ وفي كتب اليهود: «أهيا شرا أهيا» ـ «إله الصباءوت» ـ «إيل شداي»

وكان اليهودي إذا نزلت به مصيبة؛ يسأل الله باسم النبي الآتي أن يرفعها عنه. أي أنهم كان يتوسلون إلى الله بمحمد ﷺ وكانوا إذا احتاجوا من الله شيئا؛ يطلبونه بجاه محمد ﷺ .

سؤال الله باسم محمد:

ولأن المسيح عيسى عليه السلام نائب عن محمد ﷺ كأنه هو؛ قال للحواريين: اسألوا الله باسمي، من اليوم إلى أن يظهر محمد النبي الآتي الذي أبشر به، وفي اليوم الذي سيظهر فيه. لا تسألوا باسمي «في ذلك اليوم لا تطلبون مني شيئا» وقال لهم: «بعد قليل لا ترونني» لأنني سأموت كما يموت الناس «ثم بعد قليل ترونني» لأنه إذ ظهر النبي الذي أبشر به؛ ترونني في شخصه؛ لأني أنا وهو واحد. وسأعود في شخصه فأراكم.

وتكلم المسيح عيسى عليه السلام عن محمد ﷺ فقال: «الآن تمجد ابن الإنسان، وتمجد اللّه فيه» أي اقترب مجئ مجده ﷺ «وإذا كان اللّه تمجد فيه» أي ظهرت قدرة

الله في نصرته «فإن الله سيمجده في ذاته» وعبر عن اقتراب ظهوره بقوله: «وبعد قليل سيمجده» ثم حث الحواريين على الجهاد في سبيل الله، وحثهم على التواضع، وأن يحب بعضهم بعضا. وبيّن لهم: أن المعجزات التي يعملها، يقدرون على عملها إذا آمنوا به «الحق الحق أقول لكم: من آمن بي يعمل الأعمال التي أعملها، بل أعظم منها؛ لأني ذاهب إلى الآب. فكل ما تطلبونه باسمي؛ أعمله حتى يتمجد الآب في الابن. إذا طلبتم مني شيئا باسمي أعمله»

ثم أظهر اسمه «أحمد» ومكتوب بدله في الإنجيل «المعزّى» وقال بعده: «لن أترككم يتامى، بل أرجع إليكم» في شخصه. وفي يوم ظهوره ستتأكدون من كلامي عنه. هذا الكلام الذي تلقيته من الله. فأكون أنا والله صادقين «تعرفون أني في أبي، وأنكم أنتم فيّ، مثلما أنا فيكم»

وتكلم عن الشيطان. ووصفه بسيد العالم. لأن العالم كله يميل إلى الشهوات. وهو يدلهم عليها، ولا يميل الناس إلى الزهد والنسك فلذلك أضل منهم جبلا كثيرا. وقال: إنني حذرت العالم من الشيطان، فإذا ظهر النبي الذي أُبشر به وغفلوا عنه فهلكوا. لا أكون أنا المتسبب في إهلاكهم؛ وذلك لأني عرفتهم به من الآن. ولا يقدر أن يحتج الشيطان عليّ بأني قصرت في إظهار عداوته لهم «لن أخاطبكم بعد طويلا؛ لأن سيد هذا العالم» وهو الشيطان «سيجئ لا سلطان له عليّ»

وقال للحواريين: جاهدوا في سبيل الله: «فيعطيكم الآب كل ما تطلبون باسمي»

* * *

وهذا هو نص الكلام من إنجيل يوحنا. من طبعة الشرق الأوسط بلبنان:

«الحق الحق أقول لكم: من آمن بي يعمل الأعمال التي أعملها، بل أعظم منها، لأني ذاهب إلى الآب. فكل ما تطلبونه باسمي؛ أعمله، حتى يتمجد الآب في الابن. إذا طلبتم مني شيئا باسمي؛ أعمله.

الوعد بالروح القدس

إذا كنتم تحبوني؛ عملتم بوصاياي. وسأطلب من الآب أن يعطيكم مُعَزِّيا آخر يبقى معكم إلى الأبد.

(١) المعَزى: ترجمة بارقليط. وهي عبرية تنطق في اليونانية «بارقليطوس» و«بيرقليط» تترجم «أحمد».

هو روح الحق الذي لا يقدر العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه. أما أنتم فتعرفونه، لأنه يقيم معكم ويكون فيكم.

لن أترككم يتامى، بل أرجع إليكم. بعد قليل لن يراني العالم، أما أنتم فترونني ولأني أحيا، فأنتم ستحيون. وفي ذلك اليوم تعرفون أني في أبي، وأنكم أنتم فيّ مثلما أنا فيكم.

من قبل وصاياي وعمل بها؛ أحبني. ومن أحبني أحبه أبي، وأنا أحبه وأظهر له ذاتي.

فقال له يهوذا، وهو غير يهوذا الأسخريوطي: يا سيد، كيف تظهر ذاتك لنا ولا تظهرها للعالم؟ أجابه يسوع: «من أحبني سمع كلامي فأحبه أبي، ونجيء إليه ونقيم عنده. ومن لا يحبني لا يسمع كلامي. وما كلامي من عندي، بل من عند الآب الذي أرسلني.

قلت لكم هذا كله وأنا معكم. ولكن المعُزّى، وهو الروح القدس الذي يرسله الآب باسمي، سيعلمكم كل شيء ويجعلكم تتذكرون كل ما قلته لكم.

سلاما أترك لكم، وسلامي أُعطيكم، لا كما يعطيه العالم أعطيكم أنا. فلا تضطرب قلوبكم ولا تفزع. قلت لكم: أنا ذاهب وسأرجع إليكم، فإن كنتم تحبوني فرحتم بأني ذاهب إلى الآب، لأن الآب أعظم مني. أخبرتكم بهذا قبل أن يحدث، حتى متى حدث تؤمنون. لن أخاطبكم بعد طويلا، لأن سيد هذا العالم سيجيء لا سلطان له عليّ، ولكن يجب أن يعرف العالم أني أحب الآب وأني أعمل بما أوصاني الآب. قوموا نذهب من هنا.

يسوع الكرمة الحقيقة:

أنا الكرمة الحقيقية وأبي الكرام. كل غصن مني لا يحمل ثمرا؛ يقطعه، وكل ما يثمر ينقيه ليكثر ثمره. أنتم الآن أنقياء بفضل ما كلمتكم به. اثبتوا فيّ وأنا فيكم. وكما أن الغصن لا يثمر من ذاته إلا إذا ثبت في الكرمة، فكذلك أنتم: لا تثمرون إلا إذا ثبتم فيّ.

أنا الكرمة وأنتم الأغصان: من يثبت فيّ وأنا فيه؛ يثمر كثيرا. أما بدوني فلا تقدرون

على شيء. من لا يثبت فيَّ؛ يرمي كالغصن فييبس. والأغصان اليابسة تجمع وتطرح في النار فتحترق. إذا ثبتم فيَّ وثبت كلامي فيكم، تطلبون ما تشاؤون فتنالونه. بهذا يتمجد أبي: أن تحملوا ثمرا كثيرا فتكونوا تلاميذي. أنا أحبكم مثلما أحبني الآب، فاثبتوا في محبتي. إذا عملتم بوصاياي تثبتون في محبتي، كما عملت بوصايا أبي وأثبت في محبته.

قلت لكم هذا ليدوم فيكم فرحي، فيكون فرحكم كاملا. هذه هي وصيتي: أحبوا بعضكم بعضا. مثلما أحببتكم. ما من حب أعظم من هذا: أن يضحي الإنسان بنفسه في سبيل أحبائه. وأنتم أحبائي إذا عملتم بما أوصيكم به. أنا لا أدعوكم عبيدا بعد الآن، لأن العبد لا يعرف ما يعمل سيده، بل أدعوكم أحبائي، لأني أخبرتكم بكل ما سمعته من أبي. ما اخترتموني أنتم، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتثمروا ويدوم ثمركم، فيعطيكم الآب كل ما تطلبونه باسمي. وهذا ما أوصيكم به: أن يحب بعضكم بعضا.

العالم ويسوع

«إن أبغضكم العالم، فتذكروا أنه أبغضني قبل أن يبغضكم. لو كنتم من العالم، لأحبكم العالم كأهله. ولأني اخترتكم من هذا العالم وما أنتم منه، لذلك أبغضكم العالم. تذكروا ما قلته لكم: ما كان خادم أعظم من سيده. فإذا اضطهدوني يضطهدونكم، وإذا سمعوا كلامي يسمعون كلامكم. **هم يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمي**، لأنهم لا يعرفون الذي أرسلني. لولا أني جئت وكلمتهم، لما كانت عليهم خطيئة. أما الآن، فلا عذر لهم من خطيئتهم. من أبغضني أبغض أبي. لولا أني عملت بينهم أعمالا ما عمل مثلها أحد، لما كانت لهم خطيئة. لكنهم الآن رأوا، ومع ذلك أبغضوني وأبغضوا أبي. وكان هذا ليتم ما جاء في شريعتهم: أبغضوني بلا سبب. ومتى **جاء المُعَزِّي الذي أرسله إليكم من الآب، روح الحق المنبثق من الآب، فهو يشهد لي. وأنتم أيضا ستشهدون، لأنكم من البدء معي.**

الرّوح القدس

«قلت لكم هذا الكلام لئلا يضعف إيمانكم. سيطرودنكم من المجامع، بل تجيء ساعة يظن فيها من يقتلكم أنه يؤدي فريضة لله. وهم يعملون ذلك لأنهم لا يعرفون أبي ولا

يعرفوني. أقـول لكم هذا، حتى إذا جاءت الساعة تتذكـرون أني قلته لكم. ما قلت لكم من البـداءة لأني كنت معـكم. أما الآن فـأنا ذاهب إلى الذي أرسلني، ولا أحـد منكم يسألني: إلى أين أنت ذاهب؟ والآن قلت لكم، فملأ الحزن قلوبكم.

صدقوني؛ من الخـير لكم أن أذهب، فإن كنت لا أذهب لا يجيـئكم المُعزِّي. أما إذا ذهبت فـأرسله إليكم. ومـتى جاء وبخ العـالم على الخطيـئة والبِـرّ والدينونة. أمـا على الخطيئة؛ فلأنهم لا يؤمنون بي، وأمـا على البر فلأني ذاهب إلى الآب ولن تروني. وأما على الدينونة فلأن سيد هذا العالم أُدين وحُكِمَ عليه. عنـدي كلامٌ كثيرٌ أقولُهُ لكم بعد، ولكنكم لا تقدرون أن تحـتملوه. فمتى جـاء روح الحق أرشدكم إلى الحق كله، لأنه لا يتكلم بشيء من عنده، بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما سيحدث. سيمجدني لأنه يأخذ كـلامي ويقوله لـكم. وكل ما للآب هو لي، لـذلك قلت لكم: يأخـذ كلامي ويقـوله لكم. بعد قليل لا تروننى، ثم بعد قليل تروننى.

الحزن والفرح

فقال التلاميذ بعضهم لبعض: ما هذا الذي يقوله لنا: بعد قليل لا تروننى، ثم بعد قليل تروننى. وأنا ذاهب إلى الآب»؟. وتساءلوا: «ما معنى هذا القليل؟ نحن لا نفهم ما يقول.

وعرف يسوع أنهم يريدون أن يسـألوه، فقال لهم: تتساءلون عن مـعنى قولي: بعد قليل لا تروننى، ثم بعـد قليل تروننى. الحق الحق أقول لـكم: ستبكون وتـندبون، وأما العالم فـسيفـرح. ستحـزنون، ولكن حزنكم يصيـر فرحا. فـالمرأة تحزن وهي تلد، لأن ساعتها جاءت. فإذا ولدت تنسى أوجاعها، لفرحها بولادة إنسان في العالم. وكذلك أنتم تحزنون الآن، ولكني سأعود فأراكم، فتفرح قلوبكم فرحا لا ينتزعه منكم أحد.

في ذلك اليوم لا تطلبون مني شـيئا. الحق الحق أقول لكم: **كل ما تطلـبونه من الآب باسمي تنالونه. وما طلبتم شيئا باسمي حتى الآن. أُطْلُبوا تنالوا، فيكتمل فرحكم.**

الانتصار على العالم

قلت لكم هذا كله بالأمثال. وتجيء ساعة لا أحدثكم فيها بالأمثال، بل أحدثكم عن الآب بكلام صريح. وفي ذلك اليـوم أنتم تطلبون من الآب باسـمي، ولا أقول لكم أنا أطلب منه لأجلكم. فالآب نفـسه يحبكم، لأنكم أحـببتمـوني وآمنتم بأني خرجت من

عند الله. نعم، خرجت من عند الآب وجئت إلى العالم وأذهب إلى الآب».

فقال له تلاميذه: «أنت الآن تتكلم كلاما صريحا، لا بالأمثال. ونرى الآن أنك تعرف كل شيء، وأنك لا تحتاج إلى أن يسألك أحد عن شيء. فلذلك نؤمن بأنك جئت من عند الله.

أجابهم يسوع: الآن تؤمنون. تجيء ساعة، بل جاءت الآن، تتفرقون فيها، فيذهب كل أحد في سبيله وتتركوني وحدي. ولكن لا أكون وحدي، لأن الآب معي. قلت لكم هذا كله ليكون لكم سلام بي. ستعانون الشدة في هذا العالم، فتشجعوا. أنا غلبت العالم.

صلاة يسوع من أجل تلاميذه

وبعد هذا الكلام، رفع يسوع عينيه إلى السماء وقال: يا أبي جاءت الساعة: مجد ابنك ليمجدك ابنك. بما أعطيته من سلطان على جميع البشر حتى يهب الحياة الأبدية لمن وهبتهم له. والحياة الأبدية هي أن يعرفوك أنتَ الإله الحق وحدك ويعرفوا يسوع المسيح الذي أرسلته. أنا مجدتك في الأرض حين أتممت العمل الذي أعطيتني لأعمله.

فمجدني الآن يا أبي عند ذاتك بالمجد الذي كان لي عندك قبل أن يكون العالم. أظهرت اسمك لمن وهبتهم لي من العالم. كانوا لك، فوهبتهم لي وعملوا بكلامك. والآن هم يعرفون أن كل ما أعطيتني هو منك. بلَّغْتُهمُ الكلام الذي بلغتني؛ فقبلوه وعرفوا حق المعرفة أني جئت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني. أنا أصلي لأجلهم، ولا أصلي لأجل العالم، بل لأجل من وهبتهم لي لأنهم لك. كل ما هو لي فهو لك، وكل ما هو لك فهو لي، وأنا أتمجد بهم. لن أبقى في العالم أما هم فباقون في العالم، وأنا ذاهب إليك. **أيها الآب القدوس، إحفظهم باسمك الذي أعطيتني،** حتى يكونوا واحدا مثلما أنت وأنا واحد. وعندما كنت أنا معهم حفظتهم باسمك الذين أعطيتني. حرستهم، فما خسرت منهم أحدا إلا ابن الهلاك ليتم ما جاء في الكتاب[1]. والآن أنا

(١) راجع كتاب «اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة» نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة.

ذاهب إليك. أقول هذا الكلام وأنا في العالم ليكون لهم كل فرحي. بلّغتهم كلامك فأبغضهم العالم لأنهم لا ينتمون إلى العالم كما أنا لا أنتمي إلى العالم. لا أطلب إليك أن تخرجهم من العالم، بل أن تحفظهم من الشرير. ما هم من العالم. وما أنا من العالم. قدِّسهم في الحق لأن كلامك حق. أنا أرسلتهم إلى العالم كما أرسلتني إلى العالم. من أجلهم أقدس نفسي حتى يتقدسوا هم أيضا في الحق. لا أُصلِّي لأجلهم وحدهم، بل أُصلِّي أيضا لأجل من قبلوا كلامهم فآمنوا بي. إجعلهم كلهم واحدا ليكونوا واحدا فينا. أيها الآب مثلما أنت فيَّ وأنا فيك، فيؤمن العالم أنك أرسلتني. وأنا أعطيتهم المجد الذي أعطيتني؛ ليكونوا واحدا مثلما أنت وأنا واحد. أنا فيهم وأنت فيَّ لتكون وحدتهم كاملة، ويعرف العالم أنك أرسلتني. وأنك تحبهم مثلما تحبني. أنت وهبتهم لي، أيها الآب وأُريدُهُم أن يكونوا معي حيثُ أكونُ ليَروا ما أعطيتني من المَجد لأنك أحببتني قبل أن يكون العالم. ما عرفكَ العالمُ، أيُّها الآبُ الصالحُ، لكن أنا عَرَفْتُكَ وعَرَفَ هؤلاء أنك أرسلتني. أظهرت لَهُمُ اسمكَ، وسأُظهِرُهُ لهُم لتكونَ فيهم محبّتُكَ لي وأكونَ أنا فيهم»

البيان:

ويزعم المسيحيون أن «ابن الهلاك» هو يهوذا الإسخريوطي الذي يزعمون أنه هو الذي خان المسيح ودل اليهود على مكانه ليقتلوه. وغرضهم من هذا الزعم: هو: إبطال نبوءة في الزبور تدل عليمحمد ﷺ بوضعها على يهوذا [1] وابن الهلاك في الزبور يدل على اليهود الذين سيكفرون بمحمد ﷺ ويناصبونه العداء بلا سبب. وهذا هو النص بتمامه:

«طوبى للذي ينظر إلى المسكين. في يوم الشر ينجيه الرب. الرب يحفظه ويحييه. يغتبط في الأرض ولا يسلمه إلى مرام أعدائه. الرب يعضده وهو على فراش الضعف. مهدت مضجعه كله في مرضه.

أنا قلت: يا رب ارحمني. إشف نفسي لأني قد أخطأت إليك. أعدائي يتقاولون عليَّ

(١) المصدر السابق.

بشر. متى يموت ويبيد اسمه؟ وإن دخل ليراني؛ يتكلم بالكذب. قلبه يجمع لنفسه إثما. يخرج. في الخارج يتكلم. كل مبغضيّ يتناجون معا عليّ. عليّ تفكروا بأذيتي. يقولون: أمر رديء قد انسكب عليه. حيث اضطجع لا يعود يقوم. أيضا: رجل سلامتي الذي وثقت به آكل خبزي رفع عليّ عقبه.

أما أنت يا رب فارحمني، وأقمني فأجازيهم. بهذا علمت أنك سُرِرْت بي أنهُ لم يهتف عليّ عدوّي. أما أنا فبكمالي دعمتني، وأقمتني قدامك إلى الأبد. مبارك الرب إله إسرائيل من الأزل وإلى الأبد. آمين فآمين» [مزمور ٤١]

البيان:

تخيل داود عليه السلام محمدا ﷺ متكلما عن نفسه، ونقل كلامه للناس. وسفر الزبور على هذا المعنى هو كلام محمد على لسان داود، وبدأ كلامه في هذا الزبور بقوله: إنه ليس من المتكبرين الذين يحتقرون المساكين، وإنما هو من المتواضعين لله «هنيئا لمن يراعي المسكين في يوم السوء ينجيه الرب، يحرسه ويطيل حياته. . .» وفي هذا المعنى: ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾

وطابق حالته في القرآن على ما في المزمور «قلت: يا رب تحنن واشفني، خطئت إليك» ـ ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ والغرض من المطابقة: هو أنه إذا بُعث، وجاء في كلامه ما نطق عنه بلسان داود؛ فإنه يكون هو النبي المنتظر. ثم قال لله: «أعدائي يتكلمون بالشر قائلين: متى يموت ويبيد اسمه»؟ وهذا يدل على أنهم أشرار وقال إنهم يكذبون على: ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ وقال إنهم «يخرجون يدبرون المكايد» وفي القرآن: ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَد دَّخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴾

وقال عن اليهود: «وجميعهم يظنون السوء بيّ» وفي ترجمة: «يقولون: أمر رديء قد انسكب عليه» وفي القرآن: ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾

وكان يجب على اليهود أن ينصروه؛ لأنه وهم أصدقاء في الدعوة إلى الله. هم بكتاب موسى كانوا يدعون. وهو بكتابه صار يدعو. وقد وثق فيهم أنهم سيشهدون له بصحة نبوته، ولكنهم انقلبوا عليه «حتى صديقي الذي وثقت به وآكل خبزي؛ انقلب عليَّ» وفي ترجمة: «أيضا رجل سلامتي الذي وثقت به، آكل خبزي رفع عليَّ عقبه» ثم تكلم عن حرب اليهود له، وطلب من الله أن ينصره عليهم، وأن يبقيه على الدوام، أي يبقي شريعته، وفي القرآن من هذا المعنى كثير ومنه ﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾

والشاهد في هذه النبوءة: أن الذي رفع عليه عقبه ليس شخصا واحدا. وإنما هم اليهود جميعا. ويدل على ذلك: «فارحمني وأقمني فأجازيهم» - «وأقمني معافى لأجازيهم»

ومحرفو الإنجيل لكي يبعدوا هذه النبوءة عن محمد ﷺ كتبوا أن الرافع عقبه هو يهوذا الإسخريوطي، وأن الرفع على المسيح بمعنى أنه دل اليهود على مكانه ليصلبوه.

وقولهم باطل؛ لأن نص النبوءة بالجمع، وليس بالمفرد.

وفي الأصحاح الثالث عشر من إنجيل يوحنا يقسم المسيح اليهود إلى قسمين: قسم مختار وهم الذين آمنوا به وسيدعون معه إلى التعريف بمحمد ﷺ وقسم ملعون وهم الذين رفضوه. وقال: إن المرفوضين هم اليهود الذين جحدوا فضل الله عليهم، وردوا أحكامه. ذلك قوله: «لا أقول هذا فيكم كلكم؛ فأنا أعرف الذين اخترتهم. ولكن ما جاء في الكتب المقدسة لابدّ له أن يتم، وهو «أن الذي أكل خبزي؛ تمردّ عليَّ» يعني بالذين أكلوا خبزه، وتمردوا عليه: جميع اليهود الذين بدلوا نعمة الله كفرا. والمحرفون حرفوا كلامه على يهوذا الإسخريوطي ليبعدوا النبوءة عن محمد ﷺ.

«فلما كان قد غسل أرجلهم وأخذ ثيابه واتكأ أيضا قال لهم: أتفهمون ما قد صنعت بكم؟ أنتم تدعونني معلما وسيدا. وحسنا تقولون لأني أنا كذلك. فإن كنت أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم. فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض. لأني أعطيتكم مثالاً حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضًا. الحق الحق أقول لكم: إنه ليس عبد أعظم من سيده، ولا رسول أعظم من مرسله. إن علمتم هذا، فطوباكم إن عملتموه. لست أقول عن جميعكم. أنا أعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب «الذي

يأكل معي الخبز رفع عليَّ عقبه» أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون أني أنا هو. الحق الحق أقول لكم الذي يقبل من أُرسِلهُ؛ يقبلني. والذي يقبلني، يقبل الذي أرسلني» {يوحنا ١٣}

* * *

اقرأ هذا النص:

في سفر باروخ في الأصحاح الرابع وما بعده:

«وأنا بأي شيء أستطيع أن أغنيكم؟ إن الذي جلب عليكم الشرور؛ هو الذي ينقذكم من أيدي أعدائكم. سيروا يا بني سيروا. أما أنا؛ فإني مهجورة وحيدة. قد خَلَعتُ حلة السلام، ولبستُ مسح الابتهال. أصرخ إلى الأزلي طوال أيامي. تشجعوا يا بني، واستغيثوا بالله؛ فينقذكم من تسلط الأعداء ومن أيديهم، فإني قد رجوت من الأزلي خلاصكم. أتاني فرح من القدوس للرحمة التي تأتيكم عما قليل. من عند الأزلي مخلصكم. لكن الله سيردكم لي بفرح وابتهاج للأبد. فكما ترى الآن، جارات صهيون جلاءكم. هكذا عما قليل سيرين الخلاص. من عند إلهكم. **إنه سيوافيكم. في مجد الأزلي العظيم وبهائه.**

يا بني احتملوا بالصبر؛ الغضب. الذي حل بكم من عند الله. قد اضطهدك عدوك. لكنك سترى **عما قليل هلاكه، وتطأ رقابهم.** إن بني الأحباء سلكوا طرقا وعرة، وسيقوا كغنم سلبها الأعداء. تشجعوا يا بني، واستغيثوا بالله. فإن الذي جلب عليكم هذه؛ سيتذكركم، وكما قصدتم أن تشردوا عن الله. فإذا رجعتم إليه؛ تزدادون التماسا له عشرة أضعاف. **فإن الذي جلب عليكم هذه الشرور؛ يجلب لكم الابتهاج الأبدي، مع خلاصكم...»**

البيان:

لما وقع اليهود في أسر ملك بابل؛ عزّاهم باروخ النبي بأن الله سيرسل إليهم النبي الذي سيأتي على مثال موسى؛ ليحررهم من ذل الأجانب. وهذا ما سنوضحه في الموضوع التالي:

أرني مجدك

وفي كتاب التوراة أن موسى قال لله تعالى: «أرني مجدك» [خر٣٣: ١٨] وقد فسر المسيح ـ عليه السلام ـ هذا القول بقوله: إن اللَّه تعالى أراه محمدا ﷺ على ذراعي إسماعيل ـ عليه السلام ـ. ومعنى هذا: **أن الله لما وعد بنبي يأتي من بعد موسى**[(١)] لينوب عنه في حمل رسالة الله إلى الناس؛ طلب موسى أن يرى مجد هذا النبي الذي سيخلفه. فمثّل له رؤيته. ذلك قوله: «أيها الرب إله إسرائيل القدير الرحيم أظهر لعبدك **في سناء مجدك**[(٢)]. فأراه الله من ثم رسوله على ذراعي إسماعيل، وإسماعيل على ذراعي إبراهيم، ووقف على مقربة من إسماعيل إسحق، وكان على ذراعيه طفل يشير بأصبعه إلى رسول الله قائلا: هذا هو الذي لأجله خلق الله كل شيء. فصرخ من ثم موسى بفرح: يا إسماعيل إن في ذراعيك العالم كله والجنة. اذكرني أنا عبد الله لأجد نعمة في نظر الله بسبب ابنك، الذي لأجله صنع الله كل شيء»

* * *

وبعد موت موسى ـ عليه السلام ـ بآلاف من السنين؛ ظهر في اليهود رجل عالم يدعى «الرِّبى يهوذا هناسي» وألف أحاديث ونسبها إلى موسى وسماها بالأحاديث النبوية المفسرة للتوراة والمكملة لها. وقد امتدح علماء اليهود العبرانيين عمله هذا. وقالوا في تواريخهم عنه: «إن الله عندما أمر موسى بحمل الرسالة إلى الشعب، وكان قد فتح عينيه وكشف له المستقبل، ورأى أحد الأشخاص اللامعين الممجّدين. سأل الله من عسى أن يكون هو هذا الشخص؟ فأعلمه الله: أنه الرِّبى يهوذا هناسي. وهنا اعتذر موسى عن حمل الرسالة مادام يوجد هناك شخص مثل الربى يهوذا هناسي أجدر منه بهذا العمل»[(٣)] ا. هـ

والأحاديث التي ألفها الربى يهوذا هناسي تسمى «المشناة» وتفسيرها يسمى «الجمارا» ومنهما تكون التلمود.

---

(١) «يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون... إلخ» وسيأتي نصه من ترجمة الكتاب المقدس / دار المشرق ببيروت.

(٢) نصها في التوراة: «أرني مجدك»

(٣) ص ٣٢ التلمود/ إعداد: راهب من دير البرموس - مراجعة الأنبا: يسوذورس - دار الجيل للطباعة بالقاهرة سنة ٢٠٠١م.

البيان:

قال موسى لله ـ بحسب ما في التوراة ـ : «أرني مجدك» قوله هذا يدل على أنه يريد رؤية مجد النبي الأمي الآتي خلفا له. بدليل:

أن مفسري التوراة من اليهود فسروا الآتي بالربى يهوذا هناسي. وقد فسر المسيح بمحمد ﷺ. فأي التفسيرين هو الصحيح؟ من المؤكد أنه هو تفسير المسيح للنص. لأن شريعة موسى تؤدي أغراضها بدون الأحاديث التي زعموا أنها مفسرة ومكملة للتوراة. والذين عملوا بالتوراة من قبل تدوين هذه الأحاديث. إن كانوا سيدخلون النار. فأي ذنب لهم في دخولهم بسببها وهي لم تظهر بعد؟ وكيف يسوّى هؤلاء السفهاء كلاما قاله الله بكلام قد قاله البشر؟ ولماذا يتركون العمل بالتوراة ويعملون بهذه الأحاديث التي رواها واحد. لا يدرون إن كان قد صدق في روايته أو كان قد كذب فيها؟ وكيف يعدّلون أو يجرحون الراوي الذي استلم من موسى، وهم لم يروه؟

وفي عصر المسيح عيسى ـ عليه السلام ـ كان علماء اليهود يتظاهرون بالغيرة على الشريعة، ويعملون بتقاليد الشيوخ المدونة في التلمود، رياء وسمعة.

ولذلك وبخهم وسخر منهم وقال لهم: إنكم أبطلتم وصية الله بتقاليدكم.

ففي الأصحاح السابع من إنجيل مرقس:

«واجتمع إليه الفَرِّيسيُّون وقوم من الكتبة قادمين من أورشليم. ولما رأوا بعضا من تلاميذه يأكلون خبزاً بأيدٍ دنسة أيْ غير مغسولة لاموا. لأن الفريسيين وكل اليهود لم يغسلوا أيديهم باعتناء لا يأكلون. متمسكين بتقليد الشيوخ. ومن السوق إن لم يغتسلوا لا يأكلون. وأشياء أخرى كثيرة تسلّموها للتمسك بها من غسل كؤوس وأباريق وآنية نحاس وأسِرَّة. ثم سأله الفريسيون والكتبة لماذا لا يسلك تلاميذك حسب تقليد الشيوخ بل يأكلون خبزا بأيدٍ غير مغسولة؟ فأجاب وقال لهم: حسنا تنبأ إشعياء عنكم أنتم المرائين كما هو مكتوب: «هذا الشعب يكرمني بشفتيه وأما قلبه فمبتعدٌ عني بعيداً. وباطلا يعبدونني، وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس» لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس. غسل الأباريق والكؤوس وأمورا أُخر كثيرة مثل هذه تفعلون. ثم قال لهم: حسنا رفضتم وصية الله لتحفظوا تقليدكم. لأن موسى قال: «أكرم أباك وأمك». و«من

يشتم أبا أو أما فـليمُت موتاً» وأما أنتم فتـقولون: إن قال إنسانٌ لأبيـه أو أمه: قربانٌ. أي هديةٌ هو الذي تنتفع به مني. فلا تدعونهُ في ما بعدُ يفعل شيئاً لأبيه أو أمه. مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلَّمتموهُ. وأموراً كثيرة مثل هذه تفعلون» {مرقس٧}

وفي معجم اللاهوت المسيحي الكاثوليكي ما نصه:

«يسوع وسنة الشيوخ: منذ البداية يوضح يسوع عدم تقـيده بتقليد اليهود المعاصر له. إلا أنه لا يمس جوهر التراث التقليدي المحفوظ في الكتب المقدسة. فالشريعة والأنبياء لا ينبغي أن يبـطلا، بل أن يتممـا {متى:١٧} أما «سنّة الشـيوخ» فإنهـا لا تحظى بمثل هذا الامتياز؛ لأنهـا شيء بشري تماما. قد يحمل في ذاته خطر نسخ الشـريعة {مرقس٧:٨ ـ ١٣} ولذا يشجع يسوع تلاميذه على التحرر من سنة الشيوخ، بل ويعلن أيضا بطلانها؛ إلا أنه يتصرف في الوقت نفسه، تصرف معلم يعلم» أ. هـ

* * *

وإذ قد بطل قول اليهود وهو أن قول موسى لله: «أرني مجدك» يدل على رؤية الرِّبى يهوذا هناسي. إذ التـوراة كانت ﴿مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ يتبين أن صـاحب المجد الآتي هو محمد ﷺ الذي يقول دانيال عنه: «فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا» ولما ظهر محـمد ﷺ آتاه الله ملكا عظيما، وجعل له مـجدا وسلطانا. أما الربى يهوذا هناسي، فإنه كان من علماء اليهود الخاضعين لملوك الفرس وما كان لهم من حول ولا طول. حتى المسيح ابن مريم ـ عليه السلام ـ كان يقول: «أعطوا ما لقيصر؛ لقيصر، وما لله؛ لله»

وفي كتاب عن التلمود ـ نشر دير البرموس بالقاهرة ما نصه:

وقد امتدح معلمو اليهود وحاخاماتهم، يهوذا هناسي كثيراً فقالوا عنه:

«من يوم وفـاة ربي يهوذا بَطُلَ التـواضع أنه وقـد كان مـتبـحرا في اللغـة العبـرية واشتقاقاتهـا وأوضاعها حتى أن علماء زمانه كانوا يستفـتون (يطلبون المشورة) من خدام بيته، وكان ذا ثروة طائلة ونفوذ كبير، حتى بالغوا كثيراً في ذلك. وقال بعضهم: ما رأينا منذ أيام موسى علـماً وعظمة مـجتمـعة في شخص واحـد مثلما وجـدت في شخص هناسي. وكان حكـام زمانه يخطبون وده ويتـقربون إليه ويجـلّونه رغم الأحوال السيـئة لليهود في عصره»

ويرد في تقاليد اليهود عن هناسي: أن الله عندما أمر موسى بحمل الرسالة إلى الشعب، وكان قد فتح عينيه وكشف له المستقبل. ورأى أحد الأشخاص اللامعين الممجدين، سأل الله من عسى أن يكون هو هذا الشخص، فأعلمه الله أنه الربى يهوذا هناسي، وهنا اعتذر موسى عن حمل الرسالة مادام يوجد هناك شخص مثل يهوذا أجدر منه بهذا العمل» أ. هـ

ابتداء ظهور مجد الله:

طلب موسى رؤية مجد الله «فقال موسى: أرني مجدك. فقال الرب: سأعرض كل جلالي أمامك، وأنادي باسمي. أنا الرب على مسمعك، وأتحنن على من أتحنن، وأرحم من أرحم»

كيف يطلب رؤية المجد هاهنا في الأصحاح الثالث والثلاثين. وهو قد رآه من قبل ذلك في الأصحاح الثالث عشر من نفس السفر؟ وهو: «وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود من سحاب؛ ليهديهم في الطريق، وليلا في عمود من نار ليضيئ لهم. فواصلوا السير نهارا وليلا. وكان عمود السحاب نهارا، وعمود النار ليلاً، لا يزولان من أمام الشعب» [خر ١٣: ٢١ - ٢٢]

لابد أنه يطلب رؤية مجد النبي الأمي الآتي الذي سيخلفه في قيادة الشعب إلى الله. ومجد الله في ابتداء ظهوره: هو ظهور نار شديدة؛ كدلالة على قدرة الله. وأحيانا كان الغمام يحل محل النار. أما الله نفسه فلم يظهر في النار ولم يظهر في الغمام. وإنما الذي كان يظهر هو «ملاك الله النائب عنه» والملاك هو الذي كلم موسى نيابة عن الله على جبل طور سيناء لما جاءه بحسب الميقات. وفي الأصحاح الأربعين من السفر نفسه: «ثم غطى السحاب خيمة الاجتماع، وملأ مجد الرب المسكن؛ فلم يقدر موسى أن يدخل إليه، وكان إذا ارتفع السحاب عن المسكن يتابع بنو إسرائيل سفرهم، وإلا لزموا مكانهم إلى أن يرتفع. فسحاب الرب كان على المسكن نهارا، وكانت النار في السحاب ليلا، أمام عيون بني إسرائيل في جميع مراحل سفرهم» [خر ٤٠: ٣٤ - ٣٨]

وقد رأى النبي حِزقيال مظهر مجد الرب وهو يغادر أورشليم عشية تدميرها. في الأصحاح العاشر. فلما تكلم عن بئر زمزم في رؤياه وعن مقاييس الكعبة البيت الحرام؛

بين أن مجد الله سيجيء من طريق الشرق، وصوته كصوت مياه غزيرة، والأرض تلألأت من مجده «ودخل مجد الرب إلى الهيكل من الباب الشرقي. فحملني الروح ودخل بي إلى الدار الداخلية. فإذا بمجد الرب ملأ الهيكل» {حز٤٣}

وفي الأيام الأخيرة لملك بني إسرائيل وشريعة التوراة؛ يظهر النبي المنتظر. ويحل عليه مجد الرب. وعلامة حلوله عليه: هو أنه يهلك الكافرين به من اليهود والأمم، شبه النار التي صاحبت ظهور المجد الأول في النار والغمام. فإشَعياء يقول عن مجد مكة المكرمة: «قومي استنيري! فإن نورك قد وافى. ومجد الرب أشرق عليك» {إش ٦٠: ١} وفي الأيام الأخيرة. وهي بدء الأيام للنبي المنتظر يتم مجد الرب على الأمة الآتية. ذلك قول الله على لسان إشعياء: «قد حان أن أحشر جميع الأمم والألسنة فيأتون ويرون مجدي» {إش ٦٦: ١٨ ـ ١٩ مزمور ٩٧: ٦ حبقوق٢: ١٤} وهذا هو الذي طلب موسى رؤيته بقوله: «أرني مجدك» الآتي؛ لأنه قد رأى مجده على سيناء حال تلقي الشريعة. وهو لا يطلب شيئا قد رآه من قبل.

وتكلم إشعياء عن عبد الرب الآتي الذي سيبدأ به المجد الجديد {إش ٥٢: ١٤} وقال: إن الله قال له: «أنت عبدي؛ فإني بك أتمجد» {إش٤٩: ٣} فإذا قال موسى: «أرني مجدك» فإنه يطلب رؤية محمد ﷺ الآتي بمجد غير مجده.

وقد تكلم داود على لسان محمد بظهر الغيب، ومن كلامه عنه لله تعالى: «خالقي هو، ومخلّصي [1]، وملجأي؛ فلا أتزعزع. عند الله خلاصي ومجدي»:

«إلى الله ترتاح نفسي،

ومنه وحده خلاصي.

خالقي هو ومخلصي.

وملجأي فلا أتزعزع.

إلى متى تهجمون جميعا

(١) ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَرُونَ الْفُرْقَانَ ﴾ الفرقان بالعبرية: هو الخلاص من أمم الكفر إذا عملوا بالتوراة، فيكون هو الفارق بين عهدين عهد الحق، وعهد الباطل الذي كان عليه عبّاد الأصنام. والله خلّصهم منهم بالحرب. مع موسى وهارون

على إنسان مثلي لتهدموه؟
وما هو إلا حائط مائل،
أو كجدار يكاد ينهار.
يتآمرون لإسقاطه عن مقامه،
ويجدون سرورا بكلام الكذب.
يباركونه بأفواههم علنا.
وفي قلوبهم يلعنونه.
إلى الله ترتاح نفسي،
ومنه وحده رجائي.
خالقي هو ومخلصي
وملجأي فلا أتزعزع.
عند الله خلاصي ومجدي،
وفي عزة الله صخرتي ومحتماي.
توكلوا عليه أيها الشعب،
وافتحوا قلوبكم له،
لأنه ملجأ لنا كل حين.
نفخة ريح بنو آدم.
كالذباب بنو البشر.
في الموازين تشيل كفتهم.
فهم جميعا أخف من نسمة.
لا تتكلوا على الظلم،
وبالاختلاس لا تكسبوا.
إذا كثرت ثروتكم،

فلا تمل قلوبكم إليها.

تكلم الله مرة ومرتين،

فسمعت أن العزة لله،

وأن الرحمة لك يا رب،

فتجاري الإنسان بحسب عمله»

* * *

وفي التوراة: أن «المجد» ميزة يتمتع بها الملك، فضلا عن غناه وسلطانه على بهاء ملكه. ولذلك أعطى الله لموسى سلطانا مبينا؛ لأنه هو صاحب المجد الأول. ذلك قوله في القرآن الكريم: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾ قال عن ملك محمد كما قال عن ملك موسى ﴿وَأُولَٰئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾

وقد حصل سليمان من الله على «الغنى والمجد، حتى أنه لا يكون رجل مثله في الملوك» {١ملوك٣: ٩ ـ ١٤ متى ٦: ٢٩} وفي القرآن الكريم: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ أي في بني إسرائيل. وقد أعطى الله لمحمد ملكا كبيرا، وتحقق فيه قول دانيال عنه: « وأعطي سلطانا ومجدا وملكا. حتى تعبده الشعوب من كل أمة ولسان، ويكون سلطانه سلطانا أبديا لا يزول، وملكه لا يتعداه الزمن» {دا ٧: ١٤ رؤ١١: ١٥}

لغو بُولُس في «أرني مجدك»:

لما كان المراد من «أرني مجدك» مجد النبي الذي سيخلف موسى. وهو من بني إسماعيل. افترض الله كأن سائلا سأل: فلماذا يكون منهم وهم من نسل الجارية ونحن من نسل الحرة؟ وأجاب بقوله: «أتحنّن على من أتحنن، وأرحم من أرحم» وهذا السؤال في موضعه؛ لأن الله أ ـ بارك في إسماعيل ب ـ وأخذ عليه العهد بالسير أمامه من قبل ولادة إسحق. ولكن بولس لم يعمل المقارنة بين إسماعيل وإسحق، وإنما عملها في ولدي إسحق وهما يعقوب وعيسو. وقال: إن المجد في بني إسرائيل لا يتعداهم إلى

غيـرهم، وأن المجد الآتي هو فـي يسوع الذي يدعى المسـيح «إلها مـباركـا» وهل كان ليسوع الذي هو المسيح عيسى بن مريم مجد وسلطان وملك؟ لم يكن له مجد وسلطان وملك؛ لقـوله: «مملكتي ليسـت من هذا العالم» [يو١٨: ٣٦] فـقول مـوسى لله: «أرني مجدك» لا يدل على يسوع كما يقول بولس.

ونص كلامه:

«وأنّي أتمنى لو كنت أنا ذاتي محـروما. ومنفصـلا عن المسيح في سبـيل إخوتي بني قـومي في الجـسد. هم بنو إسـرائيل الذي جـعلهم الله أبـناءه، ولهم المجد والـعهـود والشريعـة والعبادة والوعود، ومنهم كـان الآباء. وجاء المسيح في الجـسد، وهو الكائن على كل شيء إلها مباركا إلى الأبد. آمين.

ولا أقول إن وعد اللـه خاب. فما كل بني إسـرائيل هم إسرائيل، ولا كل الذين من نسل إبراهيم هم أبناء إبـراهيم. قال الله لإبراهـيم: «بإسحق يكون لـك نسل» فمـا أبناء الجسد هم أبناء الله، بل أبناء الوعد هم الذين يحـسبهم الله نسل إبراهيم. فكلام الوعد هو هذا: «سأعود في مثل هذا الوقت، ويكون لسارة ابنٌ»

وما هذا كل شيء، بل إن رفقة حـبلت من رجل واحد، من أبينا إسحق، وقبل أن يولد الصبيان ويعملا خيرا أو شرا، وليـتم ما اختاره الله بتدبيره القائم على دعوته. لا على الأعـمـال، قـال الله لرفـقة: «الأكـبـر يسـتـعـبده الأصـغـر» على مـا ورد في الكتاب: «أحببت يعقوب وأبغضت عيسو»

فماذا نقول؟ أيكون عند الله ظلـم؟ كلا! قال الله لموسى: «أرحم من أرحم، وأشفق على من أُشفق» فـالأمر لا يعود إلى إرادة الإنسـان ولا إلى سعيه، بل إلى رحـمة الله وحدها. ففي الكتاب قال الله لفرعون: «رفعتك لأظهر فيك قدرتي ويدعو الناس باسمي في الأرض كلها». فهو إذاً يرحم من يشاء ويُقسي قلب من يشاء» [رومية ٩]

البيان:

نقـرأ في [خر٤: ٢١] أن (الـله) قسّى قلب فـرعـون. أما فـي [خر٨: ١٥] فنقـرأ أن (فرعـون) هو الذي أغلظ قلبهُ، وفي [خـر٧: ١٣] نقرأ أن قلب فرعـون تقسى دون أية إشارة لمن كان وراء هذه الحالة الأخيرة، فرعون نفسه، أم أن الله هو الذي قساه.

ونرجع إلى الكلام في «أرني مجدك» ونقول:

إن مفسري التوراة من المسيحيين عاجزون عن تفسير «أرني مجدك» ففي تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين برئاسة فرنسيس دافيدسن ما نصه:

«أرني مجدك» (١٨) تشجع موسى إذا أجاب الله ملتمسه بلطفه وإحسانه، فطلب ما لم يتجاسر أحد أن يسأله من قبل، إذ طلب أن يرى مجد الله «جودتي» (١٩) يعلن الله مجده للناس عن طريق جودته، ولكن ذلك الإعلان الذي أُظهر لموسى؛ ما كان لنا أن نفهمه وندركه، نحن الذين لم نبصره، فقد كان إعلاناً مباشراً عن جُودَة الله وإحسانه، لم تحجبه الحدود الأرضية العادية» أ.هـ

وبعض المفسرين منهم قالوا: إن المراد بصاحب المجد الذي يريد موسى أن يراه هو «رسول مرسل من السماء» ولكنه بشر. ومن المحتمل أنه هو يشوع بن نون. ففي التفسير الحديث للكتاب المقدس ـ الصادر عن دار الثقافة المسيحية بالقاهرة:

جاء في تفسير «وأنت لم تعرفني من ترسل معي» [خر٣٣: ١٢] ما نصه:

«١٢ ـ ١٦ حضور الله وسط شعبه

ـ **وأنت لم تعرفني من ترسل معي**: وليس واضحا ما إذا كان موسى مهتما بأن يعرف «منزلة» الرسول السماوي الموعود، أم أن هذه كانت صلاة (مثل تلك التي وردت في عد ٢٧: ١٦) بأن يوكل الله رجلا يساعده ويخلفه. وإذا كان الرأي الثاني هو المقصود، يكون اختيار الرب ليشوع هو الإجابة.

١٧ ـ ٢٣ . الصلاة من أجل رؤية الله

١٨ ـ **أرني مجدك**: لقد استجاب الله بسرعة لرجاء حضوره الإلهي المستمر مع إسرائيل. والآن يصلي موسى من أجل أن يرى مجد الرب (حرفياً يعني مقام) وهي صلاة لرؤية الله، كما هو. لكن بهذا المعنى تكون رؤيته أمراً مستحيلاً. فالإنسان لا يستطيع أن يرى الله (الآية ٢٠) وفي لغة تصويرية نابضة، تقول هذه الفقرة: إن الإنسان لا يرى إلا مسار الله [خر٣٣: ٢٢، ٢٣] وهكذا يعرف الله من خلال أعماله السابقة. أما الله، كما هو، في حقيقته غير المدركة، فهذا ما لا نستطيع أن نعرفه أو نفهمه.

وما من تعارض بين هذا وما جاء في [خر ٢٤: ١٠] حيث رأى الشيوخ إله إسرائيل

(بالمقارنة مع تك ٣٢: ٣٠). فكل ما رأوه كان «شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، الذي كان» تحت قدميه: وكل ما رآه إشعياء كان «أذياله تملأ الهيكل» [إش ٦: ١]

١٩ ـ وأنادي باسم الرب قدامك: فإعلان الله سيكون في «اسمه» ـ أي طبيعته ـ وعن طريق أعماله للإنسان. وتعرف طبيعة الله هنا، على أنها «صلاحه» وقيل عنه أيضاً «النعمة» و«الرحمة» ويقول «درايفر Driver» بحق، إن موضوع نعمة الله ورحمته إسرائيل الشعب الخاطيء. وبدون المحبة والرحمة الإلهية لهلكت إسرائيل تماماً.

ـ وأتراءف على من أتراءف: وفي [رو٩: ١٥] اقتبست هذه الآية، للإشارة إلى سيادة الرب. ولا تستطيع إسرائيل سوى أن تتعجب من أنها اختيرت، لتكون موضع رحمة الرب، لأنها لا تستطيع أن تشرح ذلك بأي اصطلاحات بشرية.

ويشير المفسرون إلى أن المصطلح العبري الذي استعمل هنا لا يتضمن أي قول اعتباطي مفاجيء من قبل الرب، كما قد يظهر في بعض الترجمات. إنها بكل بساطة، تلفت النظر إلى حقيقة أن صفات الرب، قد تظهر في أحداث تاريخية معينة واضحة، دون الدخول في تفصيلات أخرى...» أ. هـ

* * *

تجديد العهد:

لما خرج بنو إسرائيل من مصر مع موسى ـ عليه السلام ـ واتجهوا نحو جبل طور سيناء وأراد الله أن ينزل التوراة. قال لبني إسرائيل: «إن سمعتم كلامي وحفظتم عهدي فإنكم تكونون شعبي الخاص بين جميع الشعوب» وأجابوا كلهم: «جميع ما تكلم به الرب؛ نعمل به»

فلما وافقوا أنزل جملة من أحكام التوراة منها: الوصايا العشر وبناء المذبح (أي بناء المساجد) ومعاملة العبيد، وأحكام القتل والضرب والسرقة، والتعويض عن العطل والضرر، وأحكام في الأخلاق والدين، والعدل ومعاملة العدو، وحكم السنة السابقة واليوم السابع والأعياد الكبرى.

ثم أبرم العهد معهم، وبنى موسى مذبحا في أسفل الجبل، ورش عليه الدم، وتلا

عليهم كتاب العهد وقالوا: «كل ما تكلم الرب به؛ نعمله ونأتمر به»

فلما قال موسى بعد ذلك لله تعالى: «أرني مجدك» قال له بعدما أراه إياه: «ها أنا أقطع عهدا» **فلمن هذا العهد الجديد؟** إن العهد الأول كان لنزول التوراة، وقد نزلت. فهل العهد الثاني تجديد للعهد الأول. أم أنه عهد أن يؤمنوا بالنبي الآتي الذي رأى مجده موسى؟

من المؤكد أنه عهد للإيمان بالنبي الآتي الذي رأى مجده موسى. ولكن المحرف وضعه موهما أنه لأحكام تشريعية هي:

١ ـ عبادة الله ٢ ـ وافتداء الأبكار وتقديس السبت ٣ ـ والأعياد . وفي النهاية يقول: «وقال الرب لموسى: أكتب هذا الكلام؛ لأني بحسبه قطعت عهدا معك، ومع بني إسرائيل» فهل هذا الكلام هو كل أحكام التوراة؟

ومما يدل على أن هذا العهد لمحمد ﷺ الذي قال عنه موسى لله: «أرني مجدك»: أن التوراة تذكر عهدين اثنين لا ثالث لهما: وهما العهد الذي بموجبه نزلت التوراة، وعمل موسى طقوس دم له. والعهد الذي أخذه في نهاية حياته. إذ وقف ستة من الأسباط على جبل، وستة على جبل آخر. وفي نهايته يقول: «هذه هي كلمات العهد، الذي أمر الرب موسى أن يقطعه مع بني إسرائيل في أرض موآب، فضلا عن العهد الذي قطعه معهم في حوريب» {تثنية ٢٩: ١}

ولهذا اختلف مفسرو التوراة في هذا العهد.

ففي التفسير الحديث ما نصه:

«تجديد العهد (٣٤: ١ ـ ٣٥)

يغطي هذا الأصحاح إعطاء اللوحين الجديدين، وإعلان اسم الله، وقطع العهد، وتسجيل المطاليب الناجمة عن العهد. وينتهي الأصحاح فعلا بملحق يصف، بلغة ملفتة للنظر، التأثير الذي ظهر على موسى من اتصاله الوثيق بالرب.

إن هذه الفقرة تثير بعض المشكلات، فبعض الباحثين يعتقدون أن الموضوع أبعد ما يكون عن تجديد عهد كان مبرماً من قبل ـ الأمر الذي أصبحت الحاجة تدعو إليه بعد أن نقضت إسرائيل العهد ـ بل هو في الواقع سرد آخر لنفس الأحداث السابقة. فإذا ما

اعتبروا الأحداث الأولى في [خر١٩ ـ ٢٤] قائمة على المصدر (E) [1] فإنهم يعتبرون هذه أحداثاً تقوم على أساس المصدر (J) [2] ولكن كل من الآية (١) هنا وسفر التثنية (٩، ١٠) تصر على أن الموضوع بالفعل هو تجديد للعهد الأصلي. ومفهوم «التجديد» هذا، قد فسر سبب التكرار الكثير، في الأفكار، إن لم يكن في الكلمات (مثلاً في الظهور الإلهي في الآيات من (٥ ـ ٧)، وشروط العهد في الآيات (١٢ ـ ٢٥). وأولها مماثلة للإعلان الإلهي المبكر لموسى والثانية بالطبع لها أمثلة كثيرة في «كتاب العهد» (الأصحاحات ٢٠ ـ ٢٣) وأنه لأمر غريب إلى حد ما، ألا نقتبس «الكلمات العشر» في الآية (١٠) كما في (خروج ١٩) والتثنية (٦) ومع ذلك فالآية ٢٨ بكل تأكيد تفترض وجودها، ولقد رأينا أن الالتباس نفسه موجود في (خر٢٠ ـ ٢٣) فيما إذا كانت شروط العهد هي «الكلمات العشر» أم «كتاب العهد» كله.

وإذا ما نُظر إلى كتاب العهد، على أنه إسهاب وتفسير «لـلكلمات العشر» لا يكون هناك تناقض. فشروط العهد هي الإعلان، عن الله والإنسان، أكثر منها سلسلة محدودة من الالتزامات القانونية، ومن المحتمل أنه منذ البداية، كانت هناك صياغات قصيرة متعددة أو مجموعات من شريعة العهد هذه، ولم يعتبر بأي شكل متعارضة مع بعضها، وهذا يجنبنا محاولة استخراج ما يسمى بالوصايا العشر الطقسية، من (خر ٣٤: ١١ ـ ٢٦) وهي (أساس العهد الذي جدد، خر٣٤: ٢٧) بصفته مماثلاً، أو على الأقل، كمنافس لما يسمى بالوصايا العشر الأخلاقية، الواردة في (خر١٩) وتثنية (٦) وأما المثال الحقيقي فهو (خر٢٣) ولقد أجاد (نوث) بالنسبة لهذا الموضوع، فقد أشار إلى أن مجموعتين من القوانين، قد تظهران اختلافاً في الاتجاه، بيد أنهما لا تظهران تعارضاً لاهوتياً أساسياً من أية ناحية، بنفس القدر الذي لا تتعارض فيه الوصايا العشر الواردة في الأصحاح (٢٠) مع كتاب العهد الوارد في الأصحاحات من (٢٠ ـ ٢٣) وعلى كل حال، إن افترضنا أن الكلمات العشر متضمنة في هذا النص ولو أنها غير موضحة؛ فلا تنشأ مشكلة» أ.هـ

---

(١) المصدر (E) يشير إلى الكتابات الإلوهيمية

(٢) المصدر (J) أي المصادر اليهودية (الو)

«أرني مجدك» في القرآن الكريم:

اعلم أولا:

أن التعبير بندم الرب وتأسفه وغيظه. لا يراد به ظاهر اللفظ. وإنما يراد به: أن الله يكلم بني إسرائيل عن نفسه بلسان بني آدم؛ ليقدروا على تصور ذاته. وذلك لأن في التوراة: «ليس مثل الله» {تث ٣٣:٢٦} وفيها: «هو الله أحد» {تث٣٢:٣٩} وفي التفسير للتوراة ما نصه:

«١٤ ـ فندم الرب: وهذا وصف بلغتنا البشرية، والمعنى لا يقصد به، أن الله غيّر رأيه، أو أنه ندم على شيء يقصد عمله»

وفي تفسير اللاهوتيين:

«أتراءف» (١٩) لقد اقتبس بولس هذه الكلمة في رو ٩:١٥ كمثل على أن الخلاص بالنعمة فقط دون استحقاق من الإنسان أو عدم استحقاق منه. ولقد قال هرتز Hertz في شرح هذه الآية: «إن الله يرحم أولئك الذين يستحقون الرحمة» وهو تفسير يدعو إلى الدهشة والاستغراب[1]. «وجهي» (٢٠) إن العين البشرية لا يمكنها أن تشاهد جوهر الله، ولا يستطيع العقل الفاني أن يحتمل نور مجد الله المكشوف ولاشك أن كلمات يعقوب [٢] الواردة في تك ٣٢:٣٠ مجازية في معناها، فلقد رأى ملاك الرب ولم يشاهد وجه الآب المكشوف».

وفي القرآن الكريم: ﴿ وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥) وَاكْتُبْ لَنَا

---

(١) وجه الدهشة والاستغراب: هو أن المسيحيين يعتقدون أن المسيح قد غفر لهم ذنوبهم. وهرتز هنا يقول: يرحم الله من يستحق الرحمة بعمله لا بغفران الذنوب.

(١) يعنون ما في الأصحاح الثاني والثلاثين وهو صراع يعقوب مع الله. وقوله: «لأني رأيت الله وجها إلى وجه» وقولهم هذا أخذوه من سفر هوشع فإن فيه أن المصارع ليعقوب كان ملاكا من ملائكة الله {هوشع١٢:٣ ـ ٤} «في البطن بعقب أخيه، وبقوته جاهد مع الله. جاهد مع الملاك وغلب. بكى واسترحمه. وجده في بيت إيل. وهناك تكلم معنا».

فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

البيان:

يخبر عن أنهم عبدوا عجلا من لحم ودم وموسى على جبل طور سيناء. وهذا يدل على أنهم نقضوا العهد. ولذلك قال الله لموسى: «رأيتُ هؤلاء الشعب. فإذا هم شعب قساة الرقاب. والآن دع غضبي يشتد عليهم؛ فأفنيهم، وأجعلك أنت أمة عظيمة. فتضرع موسى إلى الرب إلهه وقال: يا رب لماذا يشتد غضبك على شعبك الذين أخرجتهم من أرض مصر بقوة عظيمة، ويد قديرة؟ أفلا يقول المصريون: إن إلههم أخرجهم من هنا بسوء نية؛ ليقتلهم في الجبال، ويفنيهم عن وجه الأرض؟ ارجع عن شدة غضبك، وعُد عن الإساءة إلى شعبك، **واذكر إبراهيم وإسحق ويعقوب عبيدك، الذين أقسمت لهم بذاتك وقلت لهم: إني أكثر نسلكم كنجوم السماء، وأعطيكم جميع هذه الأرض**. فعاد الرب عن السوء الذي قال إنه سينزله بشعبه» [خر٣٢: ٩ -]

وبعدما استجاب الله لموسى. قال له موسى: «أرني مجدك» فأعلن له اسمه: «الرب» وقال له: «الرب الرب إله رحيم حنون، بطئ عن الغضب وكثير المراحم والوفاء. يحفظ الرحمة لألوف الأجيال، ويغفر الإثم والمعصية والخطيئة. لا يبرئ الأثيم»

ويتبين من هذا:

أن موسى طلب الغفران والرحمة. وأن الله ردّ على طلبه بقوله:

أ - إنه لا يُبرئ الأثيم ب - وإن رحمته سيكتبها لشعب النبي الأمي الآتي.

وشعبه سيكون مكونا من ١ ـ المختارين من اليهود الذين يتقون ويؤتون الزكاة. . . الخ٢ ـ ومن بني إسماعيل الذين جاء عنهم في صلاة موسى: «واذكر إبراهيم وإسحق. . .» الخ؛ لأن الله قد استجاب دعاء إبراهيم في إسماعيل «وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه . .» الخ ووعده بإرث الأرض. فلما قال موسى لله: «اذكر إبراهيم. . إلخ. وإسماعيل سيرث في إبراهيم من محمد. قال الله له: إن رحمتي وسعت كل شيء. والتائب من اليهود له حظ فيها. ولكنني سأكتبها للشعب الآتي. أليس إسماعيل وارثا في أبيه؟ «لأنه بإسحق يُدعى لك نسل، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة؛ لأنه نسلك» [تك ٢١: ١٢ ـ ٣]

ومن ذلك كله يتبين: صدق برنابا فيما رواه عن المسيح وهو أن موسى طلب رؤية النبي الذي سيخلفه بقوله «أرني مجدك»

وفي التوراة مكتوب عنه:

«يُقيم لكم الرب إلهكم نبيا من بينكم، من إخوتكم بني قومكم مثلي، فاسمعوا له. طلبتم من الرب إلهكم في حوريب يوم اجتماعكم هناك أن لا يعود يسمعكم صوته ويريكم تلك النار العظيمة ثانية لئلا تموتوا. فقال لي الرب: أحسنوا في ما قالوا. سأُقيم لهم نبيا من بين إخوتهم مثلك وأُلقي كلامي في فمه، فينقل إليهم جميع ما أُكلمه به. وكل من لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي؛ أحاسبه عليه[1]. وأي نبيٍّ تكلَّم باسمي كلاما زائداً لم آمره به، أو تكلم باسم آلهة أخرى، فجزاؤه القتل. وإن قلتم في قلوبكم: كيف نعرف الكلام الذي لم يتكلم به الرب؟ فأُجيبكم: أن النبيَّ الذي تكلم باسم الرب ولم يحدث كلامه بصدق؛ فذلك الكلام لم يتكلم به الرب، بل زاد فيه النبيُّ على الحقيقة. فلا تخافوا منه» [تثنية١٨]

وفي الإنجيل مكتوب عنه:

شهادة يوحنا المعمدان

[متى٣: ١ ـ ١٢، مرقس١: ٢ ـ ٨، لوقا٣: ١٥ ـ ١٧]

---

(١) في ترجمة: «ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبي؛ تُباد من الشعب» [أعمال٣]

«هذه شهادة يوحنا، حين أرسل إليه اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه: من أنت»؟ فاعترف وما أنكر، إعترف قال: ما أنا المسيح. فقالوا: «من أنت إذاً؟ هل أنت إيليا؟» قال: ولا إيليا. قالوا: هل أنت النبي؟أجاب: لا. فقالوا له: من أنت، فنحمل الجواب إلى الذين أرسلونا؟ماذا تقول عن نفسك؟ قال: أنا، كما قال النبي إشعياء: «صوت صارخ في البرية: قوّموا طريق الرب» [يوحنا ١]

ومن هذه الشهادة يتبين أن هذا النبي الأمي، لم يكن قد ظهر حتى عصر يحيى وعيسى ـ عليهما السلام ـ

وقول موسى لله: ﴿ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً ﴾ هو لامتداد شريعته إلى أن يأتي النبي الذي سيخلفه. ومدة شريعته فيها ملك لليهود على الأمم وتمتع بخيرات الأراضي التي سيفتحونها وقوله ﴿ وَفِي الآخِرَةِ ﴾ اكتب لنا أيضا حسنة يعني به: في مدة الشريعة الآتية مع النبي الذي سيخلفني. وهي آخرة بالنسبة للتوراة التي هي أولى. اكتب لنا فيها أيضا حسنة. وذلك بهداية بني إسرائيل للدخول فيها. وطلبي هذا بسبب ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ أي تاب واستغفر وندم الذين عبدوا العجل عن عبادته. ورد الله عليه بقوله: ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ﴾ وسأكتبه في آخرة أيام اليهود؛ لليهود الذين يكفرون بالنبي الآتي كما أن ﴿ وَرَحْمَتِي ﴾ ـ ﴿ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ ﴾

وقد تم عذابهم على يدي محمد ﷺ في يوم الرب، في معركة هَرْمَجَدُّون، زمن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ.

* * *

هذا. والله أعلم. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين. وقد راجعه وصححه / علي أحمد حجازي السقا. ﴿ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

تم الكتاب ولله الحمد

فهرس كتــــاب
ميثاق النبيّين

الموضوع	رقم الصفحة

تم فهرس الكتاب